KINGDOM OF BAHRAIN
Ministry of Education

مملكة البحرين
وزارة التربية والتعليم

دين ٢١٤

دراسات في السيرة

للمرحلة الثانوية

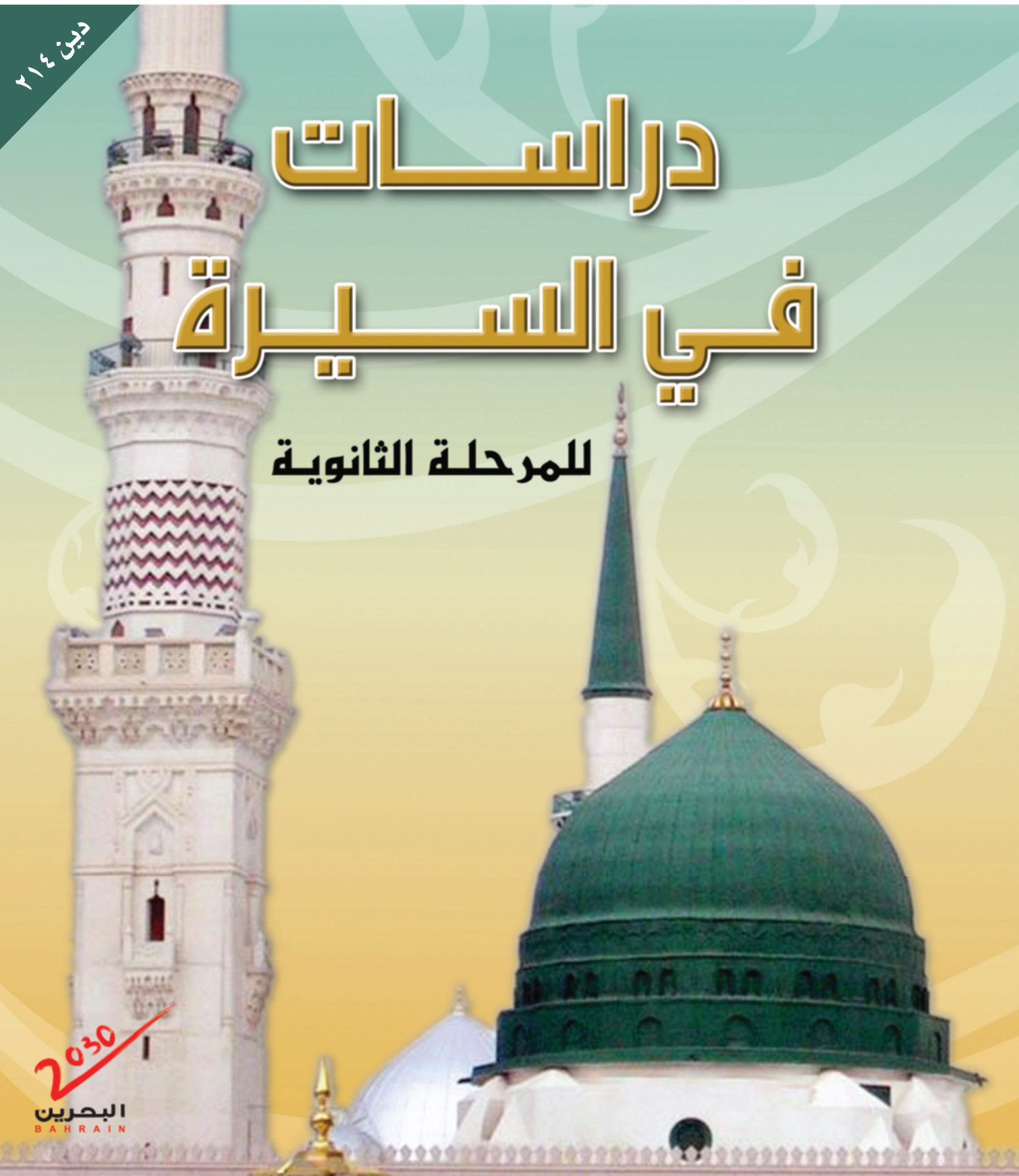

2030
البحرين
BAHRAIN

قررت وزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

إدارة المناهج

دراسات في السيرة

(دين ٢١٤)

الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين

الإعداد

فريق متخصص من إدارة المناهج

حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة

ملك مملكة البحرين المفدى

المحتـوى

الموضـــوع	الصفحة
– المقـدمـــة	٧
الفصل الأول: السيرة النبوية وتاريخ تدوينها:	
– مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها.	١١
– تدوين السيرة النبوية.	١٥
الفصل الثاني: البعثة النبوية الشريفة:	
– العالم بين يدي البعثة.	٢٣
– الطرائق التي سلكها الرسول ﷺ في دعوة الناس إلى الإسلام.	٢٩
– قريش تدبّر للقضاء على الدعوة الإسلامية.	٣٤
الفصل الثالث: صفات الرسول ﷺ ومعجزاته:	
– صفات الرسول ﷺ.	٤١
– معجزات الرسول ﷺ.	٤٩
الفصل الرابع: خصائص الرسول ﷺ وحقوقه:	
– خصائص الرسول ﷺ.	٥٩
– حقوق الرسول ﷺ.	٦٥
الفصل الخامس: خطر اليهود والمنافقين على الإسلام والمسلمين:	
– خطر اليهود.	٧٥
– خطر المنافقين.	٧٩
الفصل السادس: تراجم لعلماء كانت لهم جهود في خدمة الإسلام:	
– الحسن البصري رضي الله عنه.	٨٦
– الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه.	٩١
– الإمام الغزالي رحمه الله.	٩٧
– ابن تيمية رحمه الله.	١٠٣
– العزُّ بن عبد السلام رحمه الله.	١٠٨

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فهذا كتاب (**دراسات في السيرة «دين ٢١٤»**)، يسرُّنا أن نضعه بين أيدي أبنائنا وبناتنا طلاب وطالبات المرحلة الثانوية، وقد جاء تأليفه بناءً على رغبة ملحّة من الميدان طلابًا ومعلمين؛ لشعورهم بالحاجة إلى استلهام مواطن القدوة والاعتبار من حياة النبي ﷺ، ومحاولة التأسي به في مختلف المواقف العملية في حياتهم.

ولمّا كانت السيرة النبوية هي الجانب العملي التطبيقي لحياة النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، فإنّ الضرورة تستدعي أن يكون المسلم على بصيرة ببعض الموضوعات الأساسية لأحداثها، ليأخذ منها الدروس والعظات.

وقد قسّمنا الكتاب ستة فصول، تناولنا فيها الموضوعات الآتية:

١- السيرة النبوية وتاريخ تدوينها.
٢- البعثة النبوية الشريفة.
٣- صفات الرسول ﷺ ومعجزاته.
٤- خصائص الرسول ﷺ وحقوقه.
٥- خطر اليهود والمنافقين على الإسلام والمسلمين.
٦- تراجم لعلماء مسلمين، كانت لهم مواقف وآراء في تصحيح الانحرافات عن الإسلام.

وحاولنا إثراء الكتاب بنماذج من التقويم والأنشطة المتنوعة، وقائمة المراجع التي يمكن للطالب والمعلم الرجوع إليها في كلّ موضوع من موضوعات الكتاب.

ومع أننا اجتهدنا في عرض موضوعات الكتاب بأسلوب يجمع بين السرد التاريخي والمحاكمة العقلية والربط بالواقع، إلا أننا لن نصل إلى الكمال، فالكمال لله وحده، آخذين بالاعتبار أنّ للمعلم دوره في إثراء الموضوعات وتنويع أساليب العرض، وللطالب دوره في البحث والاطلاع؛ لتعميق مبادئ التعلم الذاتي لديه، فلا تتحقق الفائدة المرجوة إلا بتضافر هذه الجهود معًا.

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلابنا ليكونوا هداةً مهديين، ويوفّق الجميع لما يحبه ويرضاه، إنه أكرم مسؤول.

المؤلفون

الفصل الأول:

السيرة النبوية وتاريخ تدوينها

مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها

أولا- مفهوم السيرة النبوية:

في اللغة: الطريقة، سواءً أكانت خيرًا أم شرًا. يقال: فلان محمود السيرة، وفلان مذموم السيرة [١].

وفي الاصطلاح: حياة الرسول ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، وتلحق بها حياة الصحابة الذين صحبوه وصدّقوه ونصروا دعوته.

نشاط ١:

من خلال التعريف الاصطلاحي، استخرج الأمور التي تبحث فيها السيرة النبوية، ودوّنها في كراستك.

ثانيًا- خصائص السيرة النبوية:

تتميز السيرة النبوية بخصائص عدة، من أبرزها:

١- صحة النقل:

تُعَدُّ السيرة النبوية أصحَّ السير وأقواها ثبوتًا؛ وذلك:

أ – لأن القرآن الكريم ذكر جانبًا كبيرًا ومهمًا من أحداثها، كسيرته ﷺ في بعض غزواته، وسيرته مع اليهود، وسيرته في علاقاته مع زوجاته. والمعلوم أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى له، ومنقولٌ بالتواتر لا يتطرق إليه شك. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٢].

ب– ولأن السنة النبوية نقلت جزءًا كبيرًا من أحداث السيرة، وقد حظيت السنة بعنايةٍ فائقةٍ من العلماء، من خلال تمحيص الروايات لتمييز صحيحها من سقيمها.

١– كتاب التعريفات للشريف الجرجاني، ص ٩٣.

٢– الآية ٩ من سورة الحجر.

٢- الوضوح:

تتميز سيرته ﷺ بوضوحها ودقة تفاصيل مراحلها، منذ ولادته ﷺ إلى بعثته، وحتى وفاته.

٣- الشمولية:

السيرة النبوية شاملة لكل النواحي الإنسانية في حياة الرسول ﷺ كإنسانٍ وزوجٍ وأبٍ وأخٍ وصديقٍ وحاكمٍ ومجاهد، مما يجعل حياته كلّها موطن قدوة لكل فئات المجتمع.

٤- الواقعية:

لم تُخرج السيرة النبوية الرسول ﷺ عن بشريته وإنسانيته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [١]، فبيّنت مواطن ثناء الله تعالى عليه كما في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٢]، كما بيّنت المواطن التي عاتبه الله تعالى فيها كقوله: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣]، و لم تُحطْهُ بهالةٍ من التقديس ترفعه إلى مرتبة الألوهية، وإنما قدمته كأنموذج للإنسان الكامل. قال ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» [٤].

ثالثًا- أسباب الاهتمام بدراسة السيرة النبوية:

حظيت السيرة النبوية العطرة باهتمام كبير من علماء المسلمين لأسباب كثيرة منها:

١- **تُعَدُّ السيرة النبوية البداية الأولى لتاريخ الأمة الإسلامية**، حيث تقف بالقارئ على الفترة النابضة بالحياة الإيمانية، وتبين له مدى تأثيرها في الواقع المحلي والعالمي، وتبرز الأحداث الكبرى التي غيّرت وجه التاريخ، وأدت إلى سقوط دولتي الفرس والروم، وقيام دولة الإسلام.

١- الآية ١١٠ من سورة الكهف.

٢- الآية ٤ من سورة القلم.

٣- الآية ٤٤ من سورة التوبة.

٤- رواه البخاري وأحمد والدارمي.

٢- **وهي وسيلة للاقتداء بهدي النبي ﷺ والتأسي به في شؤون الحياة صغيرها وكبيرها**، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [١]. فالرسول ﷺ قدوة للمسلمين، وسيرته هي الصورة المثلى للحياة الإنسانية الراقية.

٣- **إنّ كل ما أُثر عنه ﷺ من سيرة بعد البعثة يُعَدُّ مصدرًا من مصادر التشريع**، فقد كانت أقواله وأفعاله ﷺ تشريعات ترشد إلى أحكامٍ فقهية ودروسٍ تربوية، وسياسةٍ شرعية تهم المسلمين في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية.

٤- **تعتبر السيرة النبوية وسيلةً عملية لفهم القرآن الكريم**، حيث سجّلت آياته مواقف كثيرة للنبي ﷺ،كموقف الداعية من قومه، وموقف المشركين والمنافقين وأساليبهم، وصبر الجماعة المسلمة وثباتها وجهادها في مواجهة الباطل.

٥- **السيرة النبوية علمٌ واسعٌ تدخل تحت لوائه كل العلوم الشرعية**، فتزوّد الدارس بالمعارف المفيدة في العقيدة والعبادات والمعاملات، والأخلاق والسلوك، والعلاقات الدولية.

نشاط ٢ :

استنتج فوائد أخرى لدراسة السيرة النبوية.

١- الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

التقويـــم

١ – عرّف السيرة النبوية في اللغة والاصطلاح.

٢ – السيرة النبوية ترجمة حيّة للقرآن الكريم. وضّح ذلك.

٣ – من عوامل صحة سيرة النبي ﷺ أن القرآن الكريم أصل مصادرها. وضّح ذلك.

٤ – قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾.
استنتج من النص الشرعي السابق سببًا من أسباب اهتمام المسلمين بالسيرة النبوية.

٥ – علّل اعتبار السيرة النبوية البداية الأولى لتاريخ الأمة الإسلامية.

تدوين السيرة النبوية

يأتي تدوين السيرة النبوية وكتابتها – من حيث الترتيب الزمني – في الدرجة الثانية بالنسبة لتدوين السنة النبوية، فقد بدأ تدوين السنة النبوية في حياة النبي ﷺ، بأمرٍ منه عليه الصلاة والسلام، وذلك بعد أن اطمأنّ إلى أنّ أصحابه قد تنبّهوا إلى الفارق الكبير بين أسلوبي القرآن المعجز، والحديث النبوي البليغ، فلن يقعوا في لبسٍ بينهما.

نشاط ١:

قارن في ثلاث نقاط بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أما تدوين السيرة النبوية فقد بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حيث كان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما المتوفى سنة (٦٣هـ) يدرّس تلاميذه نسب النبي ﷺ ومغازيه، وكان تلاميذه يدوّنون ذلك، وكذلك فعل عبد الله بن عباس رضي الله عنه المتوفى سنة (٦٨هـ)، ومثلهما البراء بن عازب رضي الله عنه المتوفى سنة (٧٤هـ) حيث كان يُملي على تلاميذه مغازي رسول الله ﷺ.

أوَّل من كتب في السيرة النبوية:

وفي عصر التابعين بدأ التأليف في السيرة، فألّف عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما المتوفى سنة (٩٣هـ) كتابه (**مغازي رسول الله ﷺ**)، وقد أكثر ابن إسحاق، والواقدي، والطبري من الأخذ عنه، لاسيما فيما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة، والمدينة، وغزوة بدر.

وألّف أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما المتوفى سنة (١٠٥هـ) كتابه في السيرة والمغازي، ثم وهب بن مُنَبّه المتوفى سنة (١١٠هـ)، ثم محمد بن مسلم الزهري، الذي جمع السنة في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله بأمرٍ منه.

إنّ هؤلاء يُعَدُّون – ولا ريب – في مقدمة من اهتموا بكتابة السيرة النبوية، كما تُعَدُّ كتاباتهم طليعة هذا العمل العلمي العظيم، بل تُعَدُّ الخطوة الأولى في كتابة التاريخ والاهتمام به.

غير أنّ معظم ما كتبوه قد باد وتلف مع الزمن، فلم يصل إلينا منه إلا بقايا متناثرة، روى بعضها الإمام الطبري في تاريخه، ويقال إنّ بعضها الآخر – وهو جزءٌ مما كتبه وهب بن منبّه – محفوظٌ في مدينة هايدلبرج بألمانيا.

ابن إسحاق وابن هشام:

ولكن جاء في الطبقة التي تلي هؤلاء من تلقف ما كتبه السابقون فأثبتوه في مدوناتهم التي وصل إلينا معظمها بحمد الله وتوفيقه.

ولقد كان في مقدمة هذه الطبقة محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى المتوفى سنة (١٥١هـ)، وقد اتفق الباحثون على أنّ ما كتبه محمد بن إسحاق يُعَدُّ من أوثق ما كُتب في السيرة النبوية في ذلك العهد.

ولئن لم يصل إلينا كتابه (المغازي) بذاته، إلا أنّ أبا محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة (٢١٣هـ)، قد جاء من بعده فروى لنا كتابه هذا مهذبًا منقحًا، و لم يكن قد مضى على تأليف ابن إسحاق له أكثر من خمسين سنة.

مصادر السيرة النبوية:

تستمد السيرة النبوية أحداثها من مصادر متعددة وهي:

١ – **القرآن الكريم** : وهو الأصل الأول في معرفة الملامح العامة لحياة الرسول ﷺ، وقد تحدثت آياته عن سيرته ﷺ، كنشأته ويتمه. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾[١]، وبداية نبوته وبعثته، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[٢]، ووصفت بعض المشاهد والغزوات

١– الآيات ٤ – ٦ من سورة الضحى.
٢– الآية ١ من سورة العلق.

التي حدثت في عهـده عليه الصلاة والسلام، وبعض معجزاته كمعجـزة الإسـراء والمعــراج، قال تعـالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١). ومواقف المؤمنين وثباتهم مع رسول الله ﷺ، ومواقف المشركين واليهود والمنافقين من الدعوة.

والقرآن الكريم يعرض وقائع السيرة وأحداثها بصورة إجمالية، مع التركيز على مواطن العظة والعبرة فيها، والأحكام الشرعية المستنبطة منها.

٢- **السنّة النبوية الصحيحة**: وهي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، حيث حَوَتْ جلّ تفاصيل السيرة، وهو ما بينته كتب السنّة من سيرته ﷺ، وما مرَّ بها من أحداث ووقائع مثل: علامات نبوته، وأسمائه وصفاته، وبدء الوحي، وهجرته وهجرة أصحابه، وغزواته.

٣- **مرويات الصحابة**: وهي تلي القرآن الكريم والسنة النبوية في الأهمية، مما يعطيها قيمة علمية كبيرة، حيث كانت وقائع السيرة النبوية روايات يرويها الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، وقد اختص بعضهم بتتبع دقائقها وتفاصيلها ومن ثم تدوينها في صحائف.

٤-**كتب التراجم**: وهي الكتب التي اهتمت بتدوين تاريخ الرجال وسيرهم، وخاصة تاريخ الصحابة والتابعين، ومن أهمها: (**الطبقات الكبرى**) لابن سعد، و كتاب (**الإصابة في تمييز الصحابة**) لابن حجر العسقلاني.

٥- **كتب التاريخ والأدب**: تُعَدُّ كتب التاريخ أحد المصادر الرئيسة للسيرة النبوية، مثل: كتاب (**تاريخ الأمم والملوك**) للطبري، وكتاب (**البداية والنهاية**) لابن كثير، وغيرهما.

أما كتب الأدب فقد تضمنت السيرة النبوية من خلال الأشعار التي تعرضت للبيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ، وترعرعت فيها دعوة الإسلام.

١- الآية ١ من سورة الإسراء.

أنواع كتب السيرة النبوية:

إذا تتبعنا كتب السيرة النبوية نجدها أنواعًا وأقسامًا:

١- فهناك كتبٌ تخصصتْ في **السرد التاريخي** لحياة النبي ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، وهذا النوع هو الأشهر والأكثر في كتب السيرة مثل: كتاب (**المغازي**) لابن إسحاق، وكتاب (**السيرة النبوية**) لابن هشام.

٢- وهناك كتبٌ اهتمتْ **بالأوصاف الخَلْقية والخُلُقية للنبي** ﷺ، وهي ما تسمى بكتب الشمائل المحمدية، مثل كتاب (**الشمائل**) للترمذي.

٣- وهناك كتبٌ عُنيتْ بالدلائل الشاهدة على صدق رسول الله ﷺ، مثل كتاب (**دلائل النبوة**) للبيهقي، و(**دلائل النبوة**) لأبي نعيم الأصبهاني.

٤- وهناك كتبٌ ضمّتْ **أخبار الصحابة الكرام حتى وفاتهم، إضافة إلى سيرة النبي** ﷺ **حتى وفاته**، ومن هذه الكتب: (**سِيَر أعلام النبلاء**) لشمس الدين الذهبي، و(**أُسْد الغابة**) لابن الأثير الجزري، و(**الإصابة في تمييز الصحابة**) لابن حجر العسقلاني.

٥- وهناك كتبٌ تناولتْ **حقوق المصطفى** ﷺ **على أمته، أو خصائصه التي تميز بها عن غيره**، مثل كتاب (**الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى**) للقاضي عياض، وكتاب (**الخصائص الكبرى**) للسيوطي.

نشاط ٢ :

ابحث في مركز مصادر التعلم بمدرستك عن كتب أُلفت حديثًا في السيرة النبوية، واكتب تقريرًا عن واحدٍ منها.

التقويـــم

١– في عهد من بدأ التأليف الشامل للسيرة النبوية؟

٢– ما الجوانب التي ركّز عليها القرآن الكريم في عرضه لوقائع السيرة النبوية؟

٣– قارن بين تناول كل من: القرآن الكريم والسنة النبوية لأحداث السيرة.

٤– لماذا تُعَدُّ مرويات الصحابة من مصادر السيرة النبوية؟

٥– عدّد اثنين فقط من كتب التاريخ التي اهتمت بالسيرة النبوية.

٦– صل بين كتب السيرة ومؤلفيها بوضع الرقم المناسب بين القوسين فيما يأتي:

(كتب السيرة)	(أسماء المؤلفين)
١– البداية والنهاية	( ) ابن حجر
٢– الطبقات الكبرى	( ) ابن كثير
٣– الإصابة في تمييز الصحابة	( ) ابن سعد

٧– تناولت كتب السيرة النبوية جوانب مختلفة ومتنوعة من سيرة الرسول ﷺ. بيّن ذلك.

النشاط:

ارجع إلى كتاب (تهذيب سيرة ابن هشام) لعبد السلام هارون، وادرس منهج مؤلفه في اختصار سيرة ابن هشام، ثم اكتب تقريرًا في ذلك، واعرضه أمام زملائك في الصف.

الفصل الثاني:

البعثة النبوية الشريفة

العالم بين يدي البعثة

ذكر المؤرخون أنّ القرن السادس الميلادي – الذي ابتعث الله فيه سيدنا محمدًا ﷺ – كان من أحطِّ أدوار التاريخ، ومن أشدِّها ظلامًا وضلالاً وجهلاً، وكانت الإنسانية سائرةً في طريق الدمار والهلاك، فالعقائد ضالَّةٌ، والأخلاق فاسدةٌ، والمجتمعات يعمُّها الفوضى والتخلُّف في كلِّ ميادين الحياة. وسوف نُسلِّطُ الضوء في هذا الدرس على حالة العالم الاجتماعية والدينية في هذه الفترة قبل أن يبزغ نور الإسلام:

أولاً- الحالة الاجتماعية:

١- عند العرب:

كان العرب قبل الإسلام يعيشون قبائل متناحرةً، كلَّ قبيلةٍ تقفُ للأخرى بالمرصاد، وتنتهزُ كلَّ وسيلة للاستيلاء على موارد رزقها ونهب خيراتها، يشنُّون الحروب لأتفه الأسباب، يسفكون الدماء، ويقتلون الأبرياء كما حدث بين عَبْس وذُبيان، وبين الأوس والخزرج.

وكانوا يشربون الخمر، ويلعبون الميسر، ويتعاملون بالربا، ويقطعون الأرحام، ويئدون البنات خوفًا من العار والفقر. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي الْتُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ (١).

وكانت المرأة في المجتمع الجاهليّ سلعةً رخيصةً لا قيمة لها، تُؤْكلُ حقوقُها، وتُسْلَبُ أموالُها، وتُحْرَمُ من ميراثها، وتُورَثُ كما يُورَثُ المتاع.

وإلى جانب هذه العادات السيئة التي شاعت في المجتمع العربيّ الجاهليّ، كانت لهم أخلاقٌ كريمةٌ، وخصالٌ حميدةٌ، وسجايا طيبة.

١- الآيتان ٥٨ و٥٩ من سورة النحل.

نشاط ١:

اذكر أربع خصال حميدة اتصف بها العرب في الجاهلية.

٢- عند الرُّوم:

بلغ الانحلالُ غايته ومُنتهاهُ في الامبراطورية الرُّومانية، فانهارت دعائم الأخلاق، وتلاشتْ أسس الفضيلة، وشاع الفساد، وانتشر الخمر والربا والقمار، وأثقل الحكام كاهل الرعية بكثرة الضرائب والإتاوات، مما جعل أهل البلاد يتذمَّرون من حكوماتهم، ويمقتونها مقتًا شديدًا، فسادت الفوضى، وقامت الثورات، وانقسم المجتمع الروماني قسمين:

أ – سادة: لهم كلُّ الحقوق والامتيازات.

ب – عبيد: يقومون بكل الأعمال والواجبات، يُستغلُّون أسوأ الاستغلال، وتُراقُ دماؤهم في سبيل شهوات ساداتهم ونزوات حكامهم.

٣- عند الفُرْس:

أما دولة الفُرْس فلم تكن أحسنَ حالاً، ولا أسعدَ حظًا من جارتها، فقد ساءت أحوالها، واضطرب أمرها، وتزعزعت أخلاقها، وأضحتْ ميدانًا فسيحًا لألوان الفساد وأنواع الرذائل.

وكان ملوك فارس يدّعون أنه يجري في عروقهم دمٌ إلهيٌّ، فيطلبون من الناس الاعتقاد بألوهيتهم وتقديسهم، فيستعبدونهم ويُسخِّرونهم لأهوائهم وشهواتهم وطغيانهم، ويفرضون عليهم الضرائب ويُثقلون بها كواهلهم.

وقد انقسم المجتمع الفارسيُّ كذلك طبقتين:

أ – أشراف يملكون كلَّ شيءٍ، ويتحكَّمون بمصير العامة وأرزاقهم، يتوارثون المال والجاه والمنصب.

ب– عامة الناس يعيشون في بؤسٍ وذلٍّ مرهق.

ثانيًا- الحالة الدينية:

ا- عند العرب:

كان العرب قبل الإسلام صنوفًا متعددةً من حيث أديانهم ومعتقداتهم:

أ- عبدة الأصنام:

كان الشرك دين العرب العام، والعقيدة السائدة قبل الإسلام، وكانت عبادة الأصنام منتشرةً في جزيرة العرب، فلكلِّ قبيلةٍ صنمٌ تعبده: فـ (اللاّت) لثقيف بالطائف، و (ودّ) لبني كلب بن مُرَّة، و (العُزَّى) لقريش بمكة، و (مناة) للأوس والخزرج بيثرب، و (سُواع) لمُضر، و (يغوث) لطيء.

وكان لأهل كلِّ دارٍ بمكة صنمٌ يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسَّحَ به، وإذا قدم من سفرٍ كان أوّلَ ما يفعلُ أن يتمسَّحَ به أيضًا. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذكر بعض هذه الأصنام فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (١).

ب- الدهريون:

وهم صنفٌ من العرب أنكروا الخالق، وأنكروا البعث بعد المـوت، وهـم المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٢).

ج- منكرو البعث فقط:

ومن العرب من اعترف بالخالق وأنكر البعث، وقد أشار القرآن إليهم بقوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (٣).

د- عبدة الجنّ والملائكة، والصابئة الذين عبدوا النجوم والكواكب.

---

١ – الآية ٢٣ من سورة نوح.
٢ – الآية ٢٤ من سورة الجاثية.
٣ – الآية ٣ من سورة ق.

هـ- اليهود والنصارى:

أما اليهودية فقد ظهرت في اليمن، واتخذت مواقع لها في المدينة وخيبر وعددٍ من القرى في شمال المدينة. كما ظهرت النصرانية في أماكن محدودةٍ وخاصةً في جنوب الجزيرة العربية، وكان تأثير هاتين الديانتين ضعيفًا داخل الجزيرة العربية.

و- الحنفاء:

وهم جماعةٌ من العرب لم تكن من اليهود ولا من النصارى، وإنما اعتقدت بوجود إلهٍ واحدٍ خالق، وآمنتْ باليوم الآخر.

وكانت عبادتهم التأمُّل والتفكُّر في خلق السماوات والأرض ... اجتنبوا الخمر والأعمال المنكرة، ونصحوا الناس بالابتعاد عن عبادة الأصنام، وسُمّوا الحنفاء؛ لأنهم كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وكان من أبرزهم:

- **ورقة بن نوفل**: وهو ابن عمِّ السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبيِّ ﷺ، كان من الحنفاء ثم دخل في النصرانية وتعلّم علم الكتاب (التوراة والإنجيل).

- **قسُّ بن ساعدة الإياديّ**: من أشهر خطباء العرب، ومن أبرز حكمائهم، آمن بالله واليوم الآخر، ودعا قومه إلى ذلك. وكان يقول لقريش: يُقْسِمُ قسٌّ بالله قَسَمًا لا إثم فيه، إنّ لله دينًا هو أرضى له من دينكم الذي أنتم عليه.

- **زيد بن عمرو بن نفيل**: وهو والد الصحابيّ الجليل المبشَّر بالجنة (سعيد بن زيد رضي الله عنه)، فارق دين قومه، واعتزل الأوثان، وآمن بالله واليوم الآخر، وكان يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يُحيي الموءودة.

نشاط ٢ :

كيف كان زيد بن عمرو يُحيي الموءودة؟

٢- عند الرُّوم:

اعتنق الرُّوم النصرانية بعد أن كانوا عبدة أوثانٍ وأصنامٍ، إلاّ أنهم لم يستطيعوا التخلُّص من آثار وثنيتهم فأخضعوا النصرانية لآرائهم وانحرافاتهم، وحرّفوها وبدّلوا أحكامها، وجعلوها مزيجًا غريبًا من الـخُـرافات والأوهام.

وانقسموا طوائفَ متعددة، انهمكت في خلافٍ دينيٍّ جدليٍّ عقيم في تحديد طبيعة المسيح وألوهيته، وقد تحوّل هذا الخلاف في كثيرٍ من الأحيان حروبًا داميةً، وقتلاً وتدميرًا ونهبًا واغتيالاً.

٣- عند الفُرْس:

كانت الوثنية والمجوسية وعبادة النار منتشرةً انتشارًا واسعًا في بلاد فارس، والناس بعيدون عن الإيمان بالله وعبادته وتوحيده، يُقدِّسون النار، ويبنون لها الهياكل والمعابد.

وللمجتمع الفارسي ديانتان رئيستان هما:

أ - **الديانة الزرادشتية**: ومن شريعتها تفضيل زواج الرجل بأُمِّه أو أخته أو بنته! حتى إنّ يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بابنته ثم قتلها!!

ب - **الديانة المزدكية**: وقد قامت هذه الديانة على النظام الاشتراكيّ في الأموال والنساء، بمعنى أن يتشارك الناس في أموال بعضهم البعض، وكذلك في نسائهم! وكان من نتيجة هذه الديانة انتشار الفساد وضياع الأنساب.

التقويـــم

١– كيف كان العرب يعيشون قبل الإسلام؟

٢– كانت المرأة في المجتمع الجاهليّ تُعامَل كسلعةٍ رخيصةٍ لا قيمة لها. وضّح ذلك.

٣– صِف الحالة الاجتماعية في دولتي الفرس والروم قبل الإسلام.

٤– ما العقيدة السائدة عند العرب في الجاهلية؟

٥– اكتب تعريفًا موجزًا للجماعات الآتية:

الدهريين – الصابئة – الحنفاء.

٦– مَنْ زيد بن عمرو بن نفيل؟ اذكر أحد أقواله.

٧– اعتنق الرُّوم النصرانية بعد أن كانوا عبدة أوثان، ولكنهم لم يحافظوا على صفائها. وضّح ذلك.

٨– أين انتشرت كلٌّ من الديانتين الزرادشتية والمزدكية؟ وما أبرز تعاليمهما؟

الطرائق التي سلكها الرسول ﷺ في دعوة الناس إلى الإسلام

مرَّ بك – أخي الطالب – في دراستك السابقة للسيرة النبوية، أنّ الرسول ﷺ ابتدأ دعوته لقريش سرًّا، ثم جهر بها لما كثُر أتباعه.

ومرّت بك أيضًا الحروب والغزوات التي خاضها الرسول ﷺ وأصحابه دفاعًا عن هذه الدعوة، حتى انتشر الإسلام بتأييد الله تعالى، داخل الجزيرة العربية وخارجها.

فما هي يا ترى الطرائق والوسائل التي سلكها الرسول ﷺ في دعوته إلى ربه عزّ وجلّ حتى بلغت هذا المدى البعيد في فترةٍ وجيزة؟

من خلال دراستنا للسيرة النبوية العطرة، والسنة النبوية الشريفة، يمكننا إجمال هذه الطرائق والوسائل فيما يأتي:

الطريقة الأولى: دعوته ﷺ الناس للاجتماع من أجل أن يبلّغهم:

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله "**وأنذر عشيرتك الأقربين**" أتى النبيُّ ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: يا بني فهر، يا بني عديّ.. حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يُرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فقال النبيُّ ﷺ: "أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصدقيّ؟"، قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا. قال: "فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد"، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى: "تبت يدا أبي لهبٍ وتب".

الطريقة الثانية: ذهابه ﷺ إلى أماكن تجمُّع الناس وتبليغهم دعوة الله:

عن رجلٍ من بني مالك بن كنانة قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: "أيُّها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا". قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لا يُغوينّكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزّى. وما يلتفتُ إليه رسول الله)[1].

---

١ – رواه أحمد.

وعن ربيعة بن عبّاد قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيُّها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجلٌ وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين[١] يقول: إنه صابئ[٢] كاذب. يتبعه حيث ذهب. فسألتُ عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب)[٣].

الطريقة الثالثة: رحلته ﷺ من أجل التبليغ:

عن عبد الله بن جعفر قال: (لما توفي أبو طالب خرج النبيُّ ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظلّ شجرة، فصلّى ركعتين ثم قال: "اللهمّ إني أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنتَ أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدوٍّ يتجهمني[٤]، أم إلى قريبٍ ملّكته أمري؟ إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحلَّ بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا قوة إلا بالله»)[٥].

الطريقة الرابعة: تكليفه ﷺ من أسلم تبليغ من لم يُسلم:

(عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنتُ فيمن خرج مع خالد، فأقمنا ستة أشهر، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه. ثم إنّ رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن يُقفل[٦] خالـدًا، إلا رجلاً كان ممن مع خالد فأحبَّ أن يعقب[٧] مع علي فليعقب معه.

قال البراء: فكنتُ فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدَّم علي فصلى بنا، ثم صفَّنا صفًّا واحدًا وتقدَّم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همْدان جميعًا، فكتب

---

١ – صاحب ضفيرتين.
٢– تارك لدينه.
٣– رواه أحمد.
٤– يعبس في وجهي.
٥– رواه الطبراني.
٦– يعيد.
٧– يبقى ويمكث.

علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرَّ ساجدًا، ثم رفع رأسه وقال: السلامُ على همْدان، السلامُ على همْدان)[1].

الطريقة الخامسة: تكليفه ﷺ من تعلّم أن يُعلّم من لم يعلم:

(عن عروة بن الزبير أنّ الأنصار لمّا سمعوا من رسول الله ﷺ قوله، وأيقنوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته، فصدّقوه وآمنوا به، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فيدعو الناس إلى كتاب الله، فإنه أدنى أن يُتبع.

فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار، فنزل على أسعد بن زرارة يحدّثهم ويقصُّ عليهم القرآن، فلم يزل مصعب يدعو ويهدي الله على يديه، حتى قلَّ دارٌ من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناسٌ لا محالة، وأسلم أشرافهم. ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ، وكان يُدعى المقرئ)[2].

الطريقة السادسة: إرساله ﷺ الرسل والرسائل لتبليغ الملوك والأمراء:

عن ابن إسحاق قال: (بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتابًا: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدُّوس المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي، وبالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثتُ إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفرٌ من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبّر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وبلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي، والسلامُ على من اتبع الهدى)[3].

وأخرج البخاري عن ابن عباس حديث أبي سفيان مع هرقل، وفيه نصُّ رسالة النبيّ ﷺ إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى،

---

١ – رواه البيهقي.

٢– رواه أبو نعيم في الحلية.

٣– رواه البيهقي.

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين[1]. ﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**﴾[2].

وأخرج ابن جرير الطبري من طريق محمد بن إسحاق نصَّ رسالة النبيّ ﷺ إلى كسرى: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلامٌ على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافةً، لأُنذر من كان حيًّا ويحقَّ القول على الكافرين، فإن تُسلم تسلم، وإن أبيتَ فإنّ إثم المجوس عليك).

وأخرج البيهقي نصَّ رسالة النبيّ ﷺ إلى أهل نجران: (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبيّ رسول الله إلى أُسقف نجران، سلامٌ عليكم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحربٍ، والسلام).

وقد أرسل النبيُّ ﷺ رسائل مشابهة إلى مقوقس مصر، وإلى ملك اليمامة، وإلى المنذر بن ساوى عظيم البحرين، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وإلى الحارث بن عبد كلال الحميري، وإلى ملكيْ عمان ابني الجلندي، وغيرهم.

---

١ – الأتباع من أهل مملكته.

٢– الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

التقويـــم

١– سلك رسول الله ﷺ طرائق شتى في دعوته إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها. اذكر ثلاثًا من هذه الطرائق.

٢– في تنوع وتعدد الطرائق التي سلكها النبيّ ﷺ في الدعوة إلى الإسلام دليلٌ على الإصرار والإرادة القوية. وضّح ذلك.

٣– ما سبب نزول قوله تعالى: «تبت يدا أبي لهبٍ وتب»؟

٤– كان لأبي لهب وأبي جهل دور كبير في صدِّ الناس عن دعوة النبي ﷺ. وضّح ذلك من خلال ما درست.

٥– لماذا رحل النبيُّ ﷺ إلى الطائف؟ وكيف استقبله أهلها؟

٦– ما الدعاء الذي قاله ﷺ لمّا قفل راجعًا من الطائف؟

٧– (السلام على همْدان، السلام على همْدان). من قائل هذه العبارة؟ وما مناسبة ذلك؟

٨– من هو سفير الرسول ﷺ إلى الأنصار في يثرب قبل الهجرة؟ وما المكاسب التي حققها هناك؟

٩– عدّد أسماء أربعة من الملوك والأمراء الذين أرسل إليهم النبيّ ﷺ يدعوهم إلى الإسلام.

النشاط:

اختر أحد النشاطين الآتيين:

١– اقرأ نصَّ رسالة النبيّ ﷺ إلى النجاشي، ثم حلّل الأفكار التي وردت فيها.

٢– ارجع إلى أحد كتب السيرة النبوية، واستخرج منه:

أ– قصة عدّاس مع النبيّ ﷺ عندما قفل راجعًا من الطائف.

ب– موقف ملكٍ أو أميرٍ من الذين كاتبهم النبيّ ﷺ من الإسلام.

قريش تدبّر للقضاء على الدعوة الإسلامية

منذ جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام، وبيّن لقومه ما هم عليه من ضلالٍ وجهل، أنكرت قريش دعوته أشدَّ الإنكار، وبدأت تفكّر في القضاء عليه وعلى دعوته، واتخذت لذلك وسائل عدة، منها ما درسته – عزيزنا الطالب – في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، من صنو ف الأذى والاضطهاد التي لقيها النبيُّ ﷺ وأصحابه، حتى خفّف الله تعالى عنهم بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

نشاط ١ :

اذكر بعض صور الأذى والاضطهاد التي لقيها النبي ﷺ وأصحابه.

وسوف نتناول في هذا الدرس وسائل أخرى ابتكرها مشركو قريش للقضاء على الدعوة الإسلامية، ومن هذه الوسائل:

أولاً- التفاوض:

أدركت قريش أنّ أسلوب الإيذاء والاضطهاد لا يقهر عقيدةً ولا ينتصر على مبدأ، فعدلت عن ذلك إلى أسلوبٍ آخرَ أشد مكرًا وأعظم دهاءً تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، تعرض على رسول الله ﷺ ما يشاء من الدنيا وأعراضها علّها تصرفه عن دعوته وتُثْنيه عن المُضيِّ في رسالته، وبدأت تفاوضه عن طريق الزعماء تارةً، وعن طريق الوفود تارةً أخرى.

أ- مفاوضات فردية:

روى ابن اسحاق أنّ عتبة بن ربيعة وكان سيدًا في قومه، قال في نادي قريش: يا معشر قريش! ألا أقوم إلى محمد فأُكلّمه، وأعرض عليه أمورًا لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيَّها شاء ويكُفَّ عنّا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُمْ إليه فكلّمه.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنّك منّا حيثُ قد علمتَ من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنّك قد أتيتَ قومك بأمرٍ عظيمٍ فرّقتَ به جماعتهم وسفَّهت به

أحلامهم.. فاسمع منّي أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها.

فقال له رسول الله: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي: إن كنتَ تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفًا سوَّدناك [1] علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنتَ تريد به ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا [2] لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال له رسول الله: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني، ثم قال: ﴿**حمَ ، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾ [3]، ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [4]، فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكُفَّ عن القراءة، وذلك خوفًا مما تضمنته الآية من تهديد.

ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعتُ قولاً ما سمعتُ بمثله قطُّ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة؛ يا معشر قريش: أطيعوني وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككُم وعِزُّهُ عِزُّكم. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

ب. مفاوضات جماعية:

أخفقت قريش في أسلوب المفاوضات الفردية، ولجأت إلى إرسال الوفود؛ لأنها علمت أنّ أيَّ شخصٍ مهما بلغ من قوة الحجة وتماسك الشخصية لن يثبت أمام رسول الله ﷺ ونوره المشرق وحجته البالغة. فشكَّلتْ وفدًا من أشرافها وفيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو جهل بن هشام وغيرهم، جاؤوا فعرضوا على رسول الله ﷺ أن يعطوه من المال حتى يكون أغناهم، وأن يُزوِّجوه أجمل أبكارهم على أن يترك شتم آلهتهم وتسفيه عاداتهم، فلمّا رفض إلاّ الدعوة إلى الحق الذي بُعِثَ به، قالوا: فتعبد آلهتنا يومًا

---

١ – سوّدناك: جعلناك سيداً علينا.

٢– ما يتراءى للإنسان من الجن.

٣– الآيات ١–٥ من سورة فصلت.

٤– الآية ١٣ من سورة فصلت.

ونعبد إلهك، فرفض ذلك أيضًا ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ، وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1].

ثم إنّ أشراف قريش عادوا فكرّروا المحاولة التي قام بها عتبة بن ربيعة فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة والمال، وعرضوا عليه الطبّ إن كان هذا الذي يأتيه رئيًا من الجن. فقال لهم رسول الله: ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي ونصحتُ لكم فإن تقبلوا منّي ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

ثانيًا - التعجيز:

فشلت سياسة المفاوضات التي قامت بها قريش مع رسول الله ﷺ، وعلم المشركون أنّ رسول الله طرازٌ[2] جديد من الرجال لا عهد لهم ولا لغيرهم بأمثاله، وأنه لن ينزل عند شيءٍ من مغرياتهم، فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابلٍ منّا ما عرضنا عليك، فقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من الناس أضيق بلادًا، ولا أقلَّ مالاً، ولا أشدَّ عيشًا منّا، فسَلْ ربَّك الذي بعثك بما بعثك به فلْيُسيّرْ هذه الجبال التي ضيّقتْ علينا، ولْيبسُطْ لنا بلادنا، وليُجْرِ فيها الأنهار كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قُصيَّ بن كلاب – فإنّه كان شيخًا صدوقًا – فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل؟ فإن فعلتَ ما سألناك صدّقناك وعرفنا منزلتك عند الله، وأنّه بعثك رسولاً. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بُعثتُ، وإنما جئتكم من عند الله بما بعثني، فقد بلّغتكم ما أُرسلت به إليكم.

نشاط ٢:

ارجع إلى الآيات (٩٠ – ٩٣) من سورة الإسراء؛ لتتعرّف فيها ما عرضته قريش على النبيّ ﷺ.

---

١ – سورة الكافرون.

٢– طراز: نوع فريد.

ثم طلبوا منه أن ينزع من القرآن ما يبغّضهم من الأوثان والأصنام، وما فيه من الوعيد والتهديد، أو تبديل القرآن وتغييره فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [1].

ثالثًا- الحرب الدعائية:

احتارت قريش في أمر رسول الله ﷺ، فلجأت إلى حرب الدعاية وبثّ الأكاذيب والأراجيف والافتراءات، وقامت بحملةٍ إعلاميةٍ واسعةٍ في أحياء العرب ومجامعهم، وانتهزت لذلك مواسم الحج وأسواق الشعر، وقد وحّد القرشيون آراءهم حتى لا يناقض بعضهم بعضًا واتفقوا على القول بأنّ محمدًا ﷺ ساحر.

اجتمع أشراف قريش إلى الوليد بن المغيرة وكان ذا شرفٍ فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنّه قد حضر هذا الموسم، وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيُكذِّب بعضكم بعضًا، ودار بينهم حديثٌ طويلٌ وأخذٌ وردّ، ولم يرض الوليد بما عرضوه ونقضه، فرجعوا إليه وقالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: إنّ أقرب الأقوال فيه أن تقولوا ساحرٌ جاء بسحر يُفرِّقُ به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرَّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرُّ أحدٌ إلاّ حذَّروه إيّاه، وذكروا له أمره.

---

١ – الآية ١٥ من سورة يونس.

التقويـــم

١– ما العرض الذي قدّمه عتبة بن ربيعة للرسول ﷺ مقابل تركه الدعوة إلى الإسلام؟

٢– كيف كان تأثير كلام الله تعالى في عتبة بن ربيعة؟ وبِمَ وصف القرآن الكريم؟

٣– لماذا لم تكتف قريش بالمفاوضات الفردية، وأرسلت وفدًا من زعمائها لمفاوضة النبي ﷺ؟

٤– ما سبب نزول قوله تعالى؟

– ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ...﴾.

– ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَآ أَوْ بَدِّلْهُ .....﴾.

٥– طلبت قريش من النبي ﷺ أن يحقق لها أمورًا تعجيزية عدة. ما هذه الأمور؟ وبم ردّ ﷺ؟

٦– ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

– اتفق القرشيون على وصف الرسول ﷺ بـ:

أ– الشعر.

ب– السحر.

ج– الكهانة.

٧– كانت حرب الدعاية التي لجأ إليها كفار قريش وسيلةً لتعريف الناس برسول الله ﷺ. وضّح ذلك.

الفصل الثالث:

صفات الرسول ﷺ ومعجزاته

صفاتُ الرسول ﷺ

حبا الله نبيَّه ﷺ بصفاتٍ عظيمةٍ جليلة: صفاتٍ خَلْقية ظهرت على بدنه الشريف وجوارحه الطاهرة، وصفاتٍ خُلُقية ظهرت على سلوكه القويم، وسوف نعرض في هذا الدرس بعض هذه الصفات الخَلْقية والخُلُقية.

أولاً- صفاته الخَلْقية:

خلق الله تعالى بدنه الشريف ﷺ في غاية الحسن والكمال، على وجهٍ لم يظهر لآدميٍّ مثله، وبيان ذلك في الوصف الآتي الذي جمعناه من كتب الشمائل المحمدية [1]:

١- طوله وقامته ﷺ:

كان رسول الله ﷺ معتدل القامة، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردِّد، لكنَّه كان أقرب إلى الطول، فلم يكن يُماشيه أحدٌ يُنْسَبُ إلى الطول إلاّ طاله ﷺ.

٢- لونه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، وهو الأبيض المستنير الناصع البياض، وهو أحسن الألوان، فلم يكن بالأبيض الأمهق الشديد البياض، و لم يكن بالآدم الشديد السُمْرة، وكان بياضه ﷺ مشربًا بحمرة، حتى كان الصحابة ﷺ كثيرًا ما يتمثَّلون بنعت عمِّه أبي طالب إيّاه في لونه حيث يقول:

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

٣- رأسه وعُنُقه وشعره ﷺ:

كان رسول الله ﷺ ضخم الهامة، كبير الرأس، طويل العُنُق، كأنَّه إبريق فضَّة، أو جِيد دُمْية، له شعرٌ يبلغ إلى أنصاف الأذنين، أو شحمتيهما، وربما يضرب المنكبين.

---

١ – ككتاب الشمائل المحمدية للترمذي، وكتاب الشمائل الشريفة للسيوطي.

وكان في شعر ناصيته بعض البياض، وكان في رأسه شيءٌ من الجُعودة [١]، وكان يُرجِّل [٢] رأسه، ويفرق من وسط الرأس.

٤- خدّاه ووجهه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أسيل الخدَّيْن [٣]، سهلهما، أحسن الناس وجهًا، فكان وجهه كالشمس والقمر مستديرًا، وكان إذا سُرَّ استنار وجهه كأنّه قطعة قمر، وتبرق أساريره كما يبرق السحاب المتهلِّل، كأنّ الشمس تجري فيه. وإذا غضب احمرَّ وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حبُّ الرمان.

٥- جبينه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ واسع الجبين، أي ممتد الجبين طولاً وعرضًا، والجبين هو ما اكتنف الجبهة من يمينٍ وشمال، فتكون الجبهة بين جبينين. وكان ﷺ أجلى الجبين، إذا طلع بوجهه على الناس، تراءى جبينه كأنّه السراج المُتوقّد يتلألأ.

٦- عيناه وأنفه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ واسع العينين، مشربًا بياضهما بحمرة، مع شدة سواد الحدقة، أهدب الأشفار [٤]، متقوِّس الحاجبين، سابغهما مع الدقة، غير مقترنين. إذا نظرتَ إليه قلتَ: أكحل العينين، وليس بأكحل. وكان أنفه طويلاً مستقيمًا، في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته [٥].

٧- فمه وأسنانه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ واسع الفم، حسن الثغر، منفصل الأسنان، برّاق الثنايا، وكان في أسنانه شَنَبٌ، أي نوعٌ من اللمعان، فإذا تكلم رُئِي كالنور يخرج من بين ثناياه.

---

١ – التواء خفيف.
٢– يسرّح.
٣– قليل لحم الخدين من غير نتوء.
٤– أي كثير شعر الأجفان مع طوله.
٥– الأرنبة: ما لان من الأنف.

٨- لحيته ﷺ:

كان رسول الله ﷺ ذا لحيةٍ عظيمةٍ حسنة، كثيرة الشعر، شديدة السواد، تكاد تملأ نحره، وكان في الصِّدْغين والعنفقة شيءٌ من البياض، شعراتٌ معدودةٌ فقط.

٩- أطرافه وأعضاؤه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ عظيم رؤوس العظام، كالمرفقين والكتفين والركبتين، طويل الزَّنْدين، عظيم الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، أبيض الإبطين، رحْب الكفَّيْن والقدمين، ناعم اليدين، فقد كانتا ألين من الحرير والديباج، وأبرد من الثلج.

وكان بين كتفيه ﷺ خاتم النبوة، مثل بيضة الحمامة، عليه خِيلانٌ كأمثال الثآليل. وكان خفيف العقبين والساقين، سواء البطن والصدر.

١٠- رائحته ﷺ:

كان لجسده وعرقه وأعضائه ﷺ ريحٌ أطيب من كلِّ طيب. قال أنس ﷺ: «ما شممتُ عنبرًا قطُّ، ولا مسكًا ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ». وقال جابر ﷺ: «لم يكن الرسول ﷺ يمرُّ في طريقٍ فيتبعه أحدٌ إلاّ عرف أنه سلكه، من طيبه».

وكان يصافحُ الرجل فيظلُّ يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبيِّ فيُعرفُ من بين الصبيان بريحها. وحفظتْ أمُّ سُلَيْم عرقه في قارورةٍ لتجعله في طيبها؛ لأنّه أطيب الطِّيب.

نشاط ١:

ابحث عن صفات خَلْقية أخرى للرسول ﷺ، ودوّنها في كراستك.

ثانيًا- صفاته الخُلُقية:

خـصَّ الله تعالى نبيّه محمدًا ﷺ بمكارم الأخلاق، وأثنى عليه بها، فقال جلّ شأنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (١). وقال سعد بن هشام: «**دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ فقلتُ: بلى. قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن**» (٢).

ومن أخلاقه ﷺ:

١- الأناة والحلم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطُّ إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان ثمَّ إثمٌ كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ في شيءٍ قطُّ إلاّ أن تُنْتهكَ حرمةُ الله فينتقم لله تعالى) (٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي عن شيءٍ فعلته لِمَ فعلته؟ ولا عن شيءٍ تركته، لِمَ تركته؟ بل كان يقول: لو قُدّر لكان) (٤).

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ أعرابيًا بال في طائفة المسجد، فثار عليه الناس، ليقعوا فيه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعـوه وأهريقـوا على بولـه سجـلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بُعثتم ميسّرين، و لم تُبعثوا معسّرين» (٥).

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: «بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلتُ: (يرحمك الله)، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: (واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟)، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني سكتُ، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيتُ معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: (إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)» (٦).

---

١ – الآية ٤ من سورة القلم.
٢– رواه مسلم.
٣– رواه البخاري ومسلم.
٤– رواه مسلم.
٥– رواه البخاري.
٦– رواه مسلم.

٢- التواضع والمساواة:

كانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان ﷺ بين أصحابه كأحدهم، يشاركهم في العمل، ولا يتميّز عليهم بشيء، ففي غزوة الأحزاب اشترك معهم في حفر الخندق، وقد وارى التراب بطنه.

وكان في سفرٍ مع بعض أصحابه فلما أرادوا إعداد طعامهم بذبح شاةٍ، قال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال ثانٍ: وعليَّ سلخها، وقال ثالثٌ: وعليَّ طبخها، فقال الرسول ﷺ: (وعليَّ جمع الحطب)، فقالوا: نكفيك هذا يا رسول الله، فقال: (أعْلَمُ ذلك، ولكني أكره أن أتميّز عليكم)[١].

٣- الوفاء:

كان من شروط هدنة الحديبية بين الرسول ﷺ والمشركين من قريش: أنّ من جاءهم من المسلمين لا يردُّونه إلى رسول الله ﷺ ومن جاء إلى النبيّ ﷺ منهم ردّه إليهم.

فبينما رسول الله ﷺ يكتب العهد الذي اتفقوا عليه إذ جاء أبو جندل وهو ابن سهيل بن عمرو الذي كان يفاوض الرسول ﷺ، وكان أبو جندل قد أسلم، وعذّبه قومه وحبسوه، فجاء يرسف في قيوده يلوذ بالنبيّ ﷺ.

فلما رأى سهيل ابنه قام إليه يضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه[٢]، ثم قال: يا محمد، قد لجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقتَ فجعل سهيل ينتر ابنه بتلبيبه، ويجرُّه ليردَّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: (يا معشر المسلمين، أُردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني)، فزاد ذلك الناس همًّا على همِّهم، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإنّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجا. إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم عهودنا)[٣].

وكذلك فعل مع أبي بصير لما أفْلتَ من حبس المشركين بمكة وهاجر إليه. وكذلك فعل مع أبي رافع لما أرسلته قريش برسالةٍ إلى المدينة فرغب في الإسلام والمقام، فقال له النبيُّ ﷺ: (إني لا أخيسُ بالعهد)[٤].

---

١ – خلاصة سيد البشر، لمحب الدين الطبري، ج١، ص٨٧.

٢– بمجامع ثوبه.

٣– السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، ص٣١٨.

٤– أخرجه أحمد وأبو داود.

٤- السخاء والجود:

كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأسخاهم، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (ما سئل النبي ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإنّ محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر) [١]، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (كان ﷺ أجود الناس بالخير من الرِّيح المرسلة) [٢]، وعن جابر رضي الله عنه قال: (ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ فقال: لا) [٣].

وحُملت إليه تسعون ألف درهم، فوضعها على حصيرٍ، ثم قام إليها فقسمها، فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها. وجاء رجلٌ فسأله، فقال: (ما عندي شيءٌ، ولكن ابتع عليّ[٤] فإذا جاءني شيءٌ قضيناه)، فقال عمر: يا رسول الله، ما كلّفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك، فقال الرجل: أنفقْ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا. فتبسّم النبيُّ ﷺ وعُرِفَ السرور في وجهه [٥].

٥- الشجاعة والثبات:

كان ﷺ في أشدّ المواقف ثابت الجأش يحتمي به الأبطال، ويهرع إليه الرجال، قاتل وقُوتل، ودمي وجهه، وكُسرت رباعيته، واضطرب من حوله، وهو في لقاء العدوِّ أثبت من الطود، وأخوف من الموت[٦]. يقول عليٌّ كرّم الله وجهه: (كنّا إذا اشتدّ البأس، واحمرّت الحُدُق، اتّقيْنا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدوِّ منه) [٧].

وقد ثبت الرسول ﷺ في غزوة حنين حين أخذ المشركون المسلمين على غرّة، وفرّ كثيرٌ منهم و لم يبق معه إلاّ القليل من أصحابه، فإذا به يتقدَّمهم ومعه حربته وهو يصيح في وجوه المشركين: (أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، وظلّ على ثباته حتى عادوا إليه [٨].

---

١ – رواه مسلم.
٢ – رواه البخاري ومسلم.
٣ – رواه البخاري ومسلم.
٤ – اشترِ على حسابي، وأنا أقضي.
٥ – الشمائل المحمدية للترمذي، ج١، ص٢٠١.
٦– المراد أشدُّ إخافةً من الموت.
٧ – رواه أحمد وأبو يعلى.
٨ – الرحيق المختوم للمباركفوري، ص٣٨٢.

نشاط ٢ :

ابحث عن صفات خُلُقية أخرى للرسول ﷺ، ودوّنها في كراستك.

التقويـــم

١– ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

– كان رسول الله ﷺ:

أ – طويلاً.

ب– معتدل القامة.

ج – قصيرًا.

– لون رسول الله ﷺ:

أ – أزهر.

ب– أبيض.

ج – أسمر.

– يوجد خاتم النبوة بين:

أ – زنديه ﷺ.

ب– كتفيه ﷺ.

ج – عضديه ﷺ.

٢– صف عيْنَي المصطفى ﷺ وأنفه.

٣– كان لجسده وعرقه وأعضائه ﷺ ريحٌ أطيب من كلِّ طيب. استدل على ذلك بحديث نبوي شريف.

٤– ماذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاق الرسول ﷺ؟

٥– كان رسول الله ﷺ يشارك أصحابه في العمل. اذكر موقفًا من سيرته العطرة يؤكد ذلك.

٦– (يا معشر المسلمين، أُردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني). ما مناسبة هذه العبارة؟ وعلام تدلُّ؟

٧– ماذا فعل النبيُّ ﷺ عندما تفرَّق الناس عنه يوم حنين؟ وما الصفة التي تستنتجها من موقفه هذا؟

معجزات الرسول ﷺ

اجتمع للنبيِّ محمد ﷺ من المعجزات وخوارق العادات ما لم يجتمع لنبيٍّ قبله، وإذا تأملنا سيرته ﷺ وجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى أجرى معجزاتٍ كثيرةً على يديه[١]، نُقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة المتواترة، ومن هذه المعجزات:

١- انشقاق القمر:

روى البخاري ومسلم وغيرهما أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية تدل على صدقه فأراهم انشقاق القمر نصفين حتى رأوا جبل حراء بينهما، فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا، وقدم المسافرون من أهل الآفاق إلى مكة وأخبروا أنهم رأوه منشقًا، فقال الكفار: هذا سحرٌ مستمر. فأنزل الله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**﴾[٢].

٢- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة:

روى أنس بن مالك ﷺ قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمسَ الوَضوء[٣] فلم يجده، فأُتي رسول الله ﷺ بإناء فيه ماء لا يكاد يَغمرُ أصابعه، فوضع رسول الله يده في الإناء وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال أنس: فرأيتُ الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم، وسُئل أنس: كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة[٤].

وأخرج الشيخان عن جابر ﷺ قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه رِكْوة[٥]، فتوضأ،

---

١ – أعظمها (القرآن الكريم) الذي درستَ وجوه إعجازه في مساق القرآن الكريم والسنة النبوية «دين ١٠٣».

٢ – الآيتان ١و٢ من سورة القمر.

٣ – الوضوء بفتح الواو الماء الذي يتوضأ به.

٤ – متفق عليه.

٥ – إناء صغير من جلد.

٦ – فزع.

فجهش[٦] الناس نحوه فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع رسول الله يده في الرِكْوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مئة (يعني ١٥٠٠).

٣- تكثيره الطعام والشراب:

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لمّا حُفر الخندق رأيتُ برسول الله ﷺ خمصًا[١]، فانكفأتُ[٢] إلى امرأتي، فقلتُ لها: هل عندك شيءٌ؟ فإني رأيتُ برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجتْ لي جرابًا فيه صاعٌ من شعيرٍ، ولنا بهيمةٌ[٣] داجنٌ[٤] فذبحتُها وطحنتُ ففرغتُ إلى فراغي، فقطّعْتُها في بُرمتها، ثم ولّيتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه. قال: فجئته فسررته فقلتُ: يا رسول الله! إنّا قد ذبحنا بهيمةً لنا، وطحنتُ صاعًا من شعيرٍ كان عندنا، فتعالَ أنتَ في نفرٍ معك. فصاح رسول الله ﷺ وقال: «يا أهل الخندق! إنّ جابرًا قد صنع لكم سورًا[٥] فحيْهَلا بكم»، وقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلنَّ بُرمتكم، ولا تخبزنَ عجينكم حتى أجيء»، فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يقدُمُ الناس حتى جئتُ امرأتي فقالت: بك وبك[٦]. فقلتُ: قد فعلتُ الذي قلتِ لي[٧]. فأخرجتُ له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزةً فلتخبز معكِ، واقدحي من بُرمتكم[٨] ولا تنزلوها» وهم ألفٌ. فأُقسمُ بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا[٩]، وإنّ بُرمتنا لتغطُّ[١٠] كما هي، وإنّ عجينتنا لتُخبزُ كما هو[١١].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اللهِ الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرض من

---

١ – خلاء البطن من الطعام.
٢ – انقلبتُ ورجعت.
٣ – الصغيرة من أولاد الضأن.
٤ – الداجن: ما ألف البيوت.
٥ – السور: الطعام الذي يُدعى إليه.
٦ – أي: ذمّته ودعت عليه.
٧ – معناه أني أخبرتُ النبي ﷺ بما عندنا، فهو أعلم بالمصلحة.
٨ – أي اغرفي.
٩ – شبعوا وانصرفوا.
١٠ – تغلي ويُسمعُ غليانها.
١١ – كما هو: يعود إلى العجين.

الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ في كتاب الله، ما سألته إلا ليُشبعني، فمرَّ و لم يفعل. ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آيةٍ في كتاب الله، ما سألته إلا ليُشبعني، فمرَّ فلم يفعل. ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «يا أبا هرٍّ» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق»، ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأُذن له، فدخل فوجد لبنًا في قدحٍ فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلانٌ – أو فلانة – قال: «يا أبا هرٍّ» قلتُ: لبيك يا رسولَ الله، قال: «الحق إلى أهل الصُفّة فادعهم لي» قال: وأهل الصُفّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم و لم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصُفّة؟ كنتُ أحقُّ أن أُصيب من هذا اللبن شربةً أتقوّى بها. و لم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأُذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هرٍّ» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «خُذ فأعطهم»، فأخذتُ القدح فجعلتُ أُعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، حتى انتهيتُ إلى النبيّ ﷺ وقد روي القوم كلُّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسّم فقال: «يا أبا هرٍّ»، قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيتُ أنا وأنتَ» قلتُ: صدقتَ يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب»، فقعدتُ فشربتُ، فقال: «اشرب»، فشربتُ، فما زال يقول: «اشرب»، حتى قلتُ: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا. قال: «فأرني»، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمّى وشرب الفضلة.

٤- حنين الجذع:

روى أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة، فقالت امرأةٌ من الأنصار – وكان لها غلامٌ نجارٌ – : يا رسول الله، إنّ لي غلامًا نجارًا أفآمره أن يتخذ لك منبرًا تخطب عليه؟ قال: «بلى». فاتخذ له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة خطب ﷺ على المنبر، فأنّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئنُّ الصبيّ، فقال النبيُّ ﷺ: «إنّ هذا بكى لِمَا فقد من الذِّكْر».

وفي رواية البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أيضًا قال: كان المسجد مسقوفًا على جذوعٍ من نخل، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطب يقوم على جذعٍ منها، فلما صُنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار[1] حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنتْ.

١ – العشار: جمع عشراء وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر. ومنه قوله تعالى: (وإذا العشار عُطلت).

فائدة:

كان الحسن البصري رحمه الله إذا حدّث بحديث حنين الجذع بكى ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه!

٥- انقياد الشجر:

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح[١]، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوةٍ من ماءٍ، فنظر رسول الله ﷺ فلم يرَ شيئًا يستترُ به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصنٍ من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوش[٢] الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله»، فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصّف[٣] ممّا بينهما لأم[٤] بينهما فقال: «التئما عليَّ بإذن الله» فالتأمتا .... الحديث.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فأقبل أعرابيٌّ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟»، قال: إلى أهلي. قال: «هل لك في خيرٍ؟»، قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله»، قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السلمة[٥]»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخُدُّ[٦] الأرض خدًّا حتى قامت بين يديه، فأشهدها ثلاثًا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني آتِكَ بهم، وإلا رجعتُ فكنتُ معك[٧].

---

١ – واسعًا.
٢ – الذي يُجعل في أنفه عودٌ ليذلَّ وينقاد.
٣ – نصف المسافة.
٤ – جمع.
٥ – شجرة من أشجار البادية.
٦ – تشقُّ.
٧ – رواه الدارمي في المقدمة بإسنادٍ جيد.

٦- تسليم الحجر:

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلّم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن».

قال الإمام النووي معلّقًا على هذا الحديث: فيه معجزةٌ له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافقٌ لقوله تعالى في الحجارة: ﴿**وإنّ مِنَ الحِجَارةِ لما يهبطُ من خشيةِ الله**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وإن من شيءٍ إلا يُسبّحُ بحمده**﴾[٢][٣].

٧- تسبيح الحصى:

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن سويد بن يزيد السُّلمي قال سمعتُ أبا ذرٍّ الغفاري ﷺ يقول: كنتُ رجلاً أتبع خلوات رسول الله ﷺ، فرأيته يومًا جالسًا وحده فاغتنمتُ خلوته فجئتُ حتى جلستُ إليه، فجاء أبو بكر فسلّم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر فسلّم وجلس عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فسلّم ثم جلس على يمين عمر، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهنّ في كفّه فسبّحْنَ حتى سمعتُ لهنّ حنينًا كحنين النخل[٤]، ثم وضعهنّ فخرسنَ (أي سكتنَ)، ثم أخذهنّ فوضعهنّ في كفِّ أبي بكر فسبّحْنَ حتى سمعتُ لهنّ حنينًا كحنين النخل، ثم وضعهنّ فخرسنَ، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عمر فسبّحْنَ حتى سمعتُ لهنّ حنينًا كحنين النخل، ثم وضعهنّ فخرسنَ، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عثمان فسبّحْنَ حتى سمعتُ لهنّ حنينًا كحنين النخل، ثم وضعهنّ فخرسن... الحديث.

٨- شكوى البعير:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُخبرُ به أحدًا أبدا، وكان رسول الله ﷺ أحبَّ ما استتر به في حاجته هدفٌ أو حائش[٥] نخلٍ، فدخل يومًا

---

١ – الآية ٧٤ من سورة البقرة.

٢ – الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

٣ – انظر شرح النووي على مسلم، ١٥/ ٣٦، ٣٧.

٤ – أي جذع النخل الذي حنَّ حزنًا على فراق الرسول ﷺ.

٥ – جماعة من النخل، لا مفرد له.

حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جملٌ قد أتاه فجَرْجَرَ[١] وذرفتْ عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته[٢] وذفراه[٣] فسكن، فقال: «من صاحب الجمل؟» فجاء فتىً من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّككها الله، إنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدْئبه»[٤].

٩- إخبار الذئب بنبوته:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقًا ساقه الله إليّ! فقال: يا عجبي ذئبٌ يُقعي على ذَنَبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر النبي ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: «أخبرهم». فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «صدق والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلّم السباع الإنس، ويكلّم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»[٥].

---

١ – ردّد صوته في حنجرته.
٢ – السراة: الظهر، وقيل السنام.
٣ – الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.
٤ – رواه أبو داود وأحمد والحاكم.
٥ – رواه أحمد وغيره.

التقويـــم

١ – ما المعجزة؟ وما الفرق بينها وبين الكرامة؟

٢ – ما أعظم معجزات الرسول ﷺ؟

٣ – قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**...﴾ ما سبب نزول هذه الآية؟ وما موقف المشركين من معجزة انشقاق القمر؟

٤ – صِف شعور جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما سمع النبي ﷺ يصيح: «يا أهل الخندق! إنّ جابرًا قد صنع لكم سورًا، فحيْهَلا بكم».

٥ – لماذا أنَّ الجذع في مسجد رسول الله ﷺ؟ وكيف أسكته النبي ﷺ؟

٦ – ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

– نبع الماء من بين:

أ– أظافره ﷺ.

ب– أصابعه ﷺ.

ج– قدميه ﷺ.

– الذين شاركوا الرسول ﷺ وأبا هريرة في شرب اللبن المبارك هم:

أ– المهاجرون.

ب– الأنصار.

ج– أهل الصفة.

– الذي كان يسلّم على النبي ﷺ في مكة هو:

أ – الحجر.

ب– الحصى.

ج– الشجر.

- اشتكى البعير إلى الرسول ﷺ من:

أ – الجوع.

ب– التعب.

ج– أ و ب صحيحان.

- أخبر الذئب الراعي بـ:

أ – مكان الشاة.

ب– نبوة سيدنا محمد ﷺ.

ج– موعد الساعة.

النشاط:

ارجع إلى كتاب (دلائل النبوة) للإمام البيهقي، وابحث فيه عن معجزات أخرى للنبيّ ﷺ واعرضها أمام زملائك في الصف.

الفصل الرابع:

خصائص الرسول ﷺ وحقوقه

خصائص الرسول ﷺ

أعطى الله سيدنا محمدًا ﷺ من الخصوصيات والفضائل ما لم يُعطِ نبيًّا قبله، الأمر الذي يؤكد لنا فضله وتفوّقه على سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن هذه الخصائص:

أولاً- الخصائص التي خصَّه الله بها في الحياة الدنيا:

١ – **حفظ الله تعالى كتابه المنزل عليه من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان إلى يوم القيامة، ولم يتكفل بحفظ الكتب السماوية الأخرى التي أنزلها على غيره من الأنبياء، فأصابها التبديل والتحريف.** قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

٢ – **أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام** على أنه لو بُعث ﷺ وهم أحياء أو أحدٌ منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتّبعوه وينصروه. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[٢].

٣– **أنّه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا.** فعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: "ما من نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "عُرضتْ عليَّ الأمم، فرأيتُ النبي ومعه الرُهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب..."[٤].

---

١ – الآية ٩ من سورة الحجر.
٢ – الآية ٨١ من سورة آل عمران.
٣ – رواه البخاري.
٤ – متفق عليه.

٤- **أن الله أقسم بحياته ﷺ** فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١]، والإقسام بحياته ﷺ يدلُّ على شرفها ومكانتها عند المقسِم بها سبحانه.

٥- **أن الله ناداه بأحبِّ أسمائه وأسنى أوصافه** فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ...﴾[٢]، و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[٣]، ونادى بقية الأنبياء والمرسلين بأسمائهم فقال تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾[٤]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾[٥]، ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ﴾[٦]، ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ﴾[٧]، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[٨]، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[٩]، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾[١٠]، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[١١]، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾[١٢].

٦- **أنّ قرنه ﷺ خير قرون بني آدم.** فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه"[١٣]. وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[١٤].

٧- **أنّ الله غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.** قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِّيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[١٥].

---

١ – الآية ٧٢ من سورة الحجر.
٢ – الآيات (٦٤، ٦٥، ٧٠) من سورة الأنفال ومواضع أخرى.
٣ – الآيتان (٤١، ٦٧) من سورة المائدة.
٤ – الآية ٣٥ من سورة البقرة.
٥ – الآية ١١٠ من سورة المائدة.
٦ – الآية ٣٠ من سورة القصص.
٧ – الآية ٤٨ من سورة هود.
٨ – الآية ٢٦ من سورة ص.
٩ – الآية ١٠٥ من سورة الصافات.
١٠ – الآية ٨١ من سورة هود.
١١ – الآية ٧ من سورة مريم.
١٢ – الآية ١٢ من سورة مريم.
١٣ – أخرجه البخاري.
١٤ – متفق عليه.
١٥ – الآيتان ١و٢ من سورة الفتح

نشاط ١:

هل أذنب النبيُّ ﷺ حتى يغفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ ابحث عن ذلك في كتب التفسير المتوافرة في مركز مصادر التعلم بمدرستك.

٨- **أنّ الله رفع ذكره، فلا يُذكر سبحانه إلا ذُكِرَ معه النبي ﷺ**. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [١].

ثانيًا- الخصائص التي خصَّه الله بها في الآخرة:

١- **أنه ﷺ سيد ولد آدم، وأوّل من تنشق عنه الأرض عند البعث، وأوّل شافع ومُشفّع**، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامة ولا فخْر، وأوَّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر، وأوَّلُ شافعٍ وأول مُشفَّع)[٢].

٢- **أن الله جعل لواء الحمد بيده ﷺ يوم القيامة**، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيِّد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحدٍ إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي باب الجنة، فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحبًا بمحمد. فإذا رأيتُ ربي خررتُ له ساجدًا أنظر إليه"[٣].

٣- أنه أوَّل من يجوز على الصراط، وأوَّل من يقرع باب الجنة، وأوَّل من يدخلها. ففي حديث أبي هريرة ﷺ الطويل: "ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أوَّل من يجوز من الرسل بأمته؟"[٤].

---

١ – الآية ٤ من سورة الشرح.
٢ – متفق عليه.
٣ – أخرجه الحاكم.
٤ – أخرجه البخاري.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة"[١]. وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول بك أُمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك" [٢].

ثالثًا- الخصائص التي خصَّ الله بها أمة محمد ﷺ:

١- **جعل الله تعالى هذه الأمة خير الأمم، واصطفاها من جميع الخلق لتكون أمةً لنبيّه محمد ﷺ، واجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة.** قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[٤].

نشاط ٢ :

ارجع إلى أحد كتب التفسير المتوافرة في مركز مصادر التعلم بمدرستك، وابحث فيه عن معنى الوسطية في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا).

٢- **أنهم مع كونهم أقل عملاً ممن قبلهم، فهم أكثر أجرًا.** فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجلٍ استأجر قومًا يعملون له عملاً يومًا إلى الليل على أجرٍ معلوم، فعملوا له نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطتَ لنا، وما عملنا باطلٍ. فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا، فأبوا وتركوا، واستأجر أجيرين بعدهم فقال لهما: أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطتُ لهم من الأجر فعملوا،

١ – أخرجه مسلم.
٢ – أخرجه مسلم.
٣ – الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
٤ – الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

حتى إذا كان حين صلاة العصر قالا: ما عملنا لك باطل، ولك الأجر الذي جعلتَ لنا فيه، فقال لهما: أكملا بقية عملكما ما بقي من النهار شيء يسير، فأبيا، واستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور"[١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم، وأن ذلك ليس منوطًا بكثرة العمل وقلته، بل بأمورٍ أخرى معتبرة عند الله تعالى.

٣- **أنهم مع كونهم آخر الأمم زمانًا، فهم أول من يُقضى لهم يوم القيامة.** قال ﷺ: "نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المُقضى لهم قبل الخلائق"[٢].

٤- **أنهم أول من يجتاز الصراط من الأمم مع نبيّهم** ﷺ، كما في الحديث الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه "... ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ..."[٣].

٥- **أول من يدخل الجنة من الأمم،** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة"[٤].

٦- **جعل الله الزمرة الأولى من هذه الأمة [٥] تدخل الجنة من الباب الأيمن من أبوابها.** فقد جاء في حديث الشفاعة الطويل: "فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب..."[٦].

---

١ – رواه البخاري.
٢ – رواه مسلم.
٣ – رواه مسلم.
٤ – رواه مسلم.
٥ – وهي التي تدخل الجنة من غير حساب ولا عذاب.
٦ – رواه مسلم.

التقويـــم

١- ما المقصود بخصائص الرسول ﷺ؟ وما فائدة دراستها؟

٢- اذكر ثلاثة أمور خصّ الله بها سيدنا محمدًا ﷺ في الحياة الدنيا، مع الاستدلال عليها من الكتاب أو السنة.

٣- قال ﷺ: (أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامة ولا فخْر، وأوَّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر، وأوَّلُ شافعٍ وأول مُشفَّع). استخرج من هذا الحديث الشريف الخصائص التي خصَّ الله بها سيدنا محمدًا ﷺ في الآخرة.

٤- لأمة محمد ﷺ مكانة عظيمة، وفضل كبير على بقية الأمم. وضّح ذلك في أربع نقاط.

النشاط:

خصَّ الله سيدنا محمدًا ﷺ بمجموعة من الفضائل دون سائر أفراد أمته. ابحث عن هذه الفضائل في كتاب (الخصائص الكبرى) للإمام السيوطي، واعرضها أمام زملائك في الصف.

حقوق الرسول ﷺ

أوجب الله لنبيّه ﷺ على كلِّ فردٍ من أفراد الأمة المسلمة جملةً من الحقوق والواجبات، التي تمثّل الأصل الثاني للدين، وهو شهادة أنّ محمدًا رسول الله.

لذا كان لزامًا على من ينطق بهذه الشهادة، ويدين الله بهذا الدين أن يحيط بهذه الحقوق معرفةً، ويلتزم بها اعتقادًا وقولاً وعملا. ومن هذه الحقوق:

١- الإيمان به ﷺ:

قال تعالى: ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾[١]، وقال عزَّ من قائل: ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

وقال ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله»[٣].

ومعنى الإيمان به ﷺ: التصديق بنبوته ورسالته التي جاء بها من عند الله تعالى، وأنّ كلّ ما جاء به من الدين، وما أخبر به عن الله تعالى حقٌّ وصدق. ومن مظاهر ذلك:

- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين: إنسهم وجنّهم.
- الإيمان بكونه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.
- الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.
- الإيمان بأنه ﷺ بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة.

---

١ – الآية ٨ من سورة التغابن.
٢ – الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.
٣ – متفق عليه.

نشاط ١:

ابحث عن آيات قرآنية تؤكد هذه المظاهر الأربعة للإيمان به ﷺ، مستعينًا بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٢- محبته ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٢]، ولما سمع عمر ﷺ هذا الحديث قال للرسول ﷺ: لأنت أحبُّ إليَّ من كلّ شيءٍ إلا نفسي. فقال له النبيُّ ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ ﷺ: «الآن يا عمر»[٣]، أي بلغتَ حقيقة الإيمان.

ومعنى محبته ﷺ: إيثار ما يحبُّ ﷺ على ما يحبُّ العبد. ومن مظاهر ذلك:

- محبة ما جاء به ﷺ ودعا إليه.
- محبة آل بيته وصحابته ﷺ أجمعين، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].
- تمني رؤيته، والشوق والحنين إلى لقائه.

---

١ – الآية ٢٤ من سورة التوبة.
٢ – متفق عليه.
٣ – أخرجه البخاري.
٤ – الآية ١٠ من سورة الحشر.

– الإكثار من الصلاة عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[١]، وقال ﷺ: «من صلّى عليَّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشرًا»[٢].

نشاط ٢:

هناك مواطن كثيرة تستحبُّ فيها الصلاة على النبي ﷺ، اذكر بعضها مستعينًا بأحد كتب الحديث والسيرة المتوافرة في مدرستك.

٣- طاعته ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[٤]. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾[٥].

وقال ﷺ: «كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٦]، وقال أيضًا: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»[٧].

ومعنى طاعته ﷺ: فعل ما أمر به ﷺ، وترك ما نهى عنه من اعتقادٍ أو قولٍ أو عمل، إذا كان الأمر للوجوب، والنهي للتحريم. فإن كان الأمر للندب والاستحباب، والنهي للتنزيه فلا معصية في الفعل ولا في الترك. ومن مظاهر ذلك:

– تعظيم أمره ونهيه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٨].

---

١ – الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.
٢ – رواه مسلم.
٣ – الآية ٣٣ من سورة محمد.
٤ – الآية ٦٤ من سورة النساء.
٥ – الآية ٧ من سورة الحشر.
٦ – رواه البخاري.
٧ – متفق عليه.
٨ – الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

- التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده. قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ ...»[١].
- الاحتكام إلى شريعته. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٢].

٤- متابعته ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٥].

ومعنى متابعته ﷺ: أن يكون اعتقاد العبد وقوله وعمله تابعًا لاعتقاد الرسول ﷺ وقوله وعمله، فلا يخالفه في شيءٍ من ذلك، بتقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقصان. ومن مظاهر ذلك:

- التأسي به، واقتفاء آثاره. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[٦].
- نشر سنته. قال ﷺ: «نضَّر الله امرءًا سمع منّا شيئًا فبلّغه كما سمعه، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع»[٧].
- ترك الابتداع في الدين، والإعراض عن كلِّ ما خالف هديه ﷺ. قال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل بدعةٍ ضلالة»[٨].

---

١ – أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما.
٢– الآية ٦٥ من سورة النساء.
٣ – الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.
٤ – الآية ٣١ من سورة آل عمران.
٥ – متفق عليه.
٦ – الآية ٢١ من سورة الأحزاب.
٧– أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه.
٨– أخرجه أحمد وغيره.

٥- توقيره ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[١]. وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيتُ مليكًا قط يُعظِّمه أصحابه ما يُعظِّم أصحاب محمد ﷺ محمدا، والله إن انتخم نخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيمًا له...[٢].

ومعنى توقيره ﷺ: تعظيمه وإجلاله، وإكبار شأنه، ورفع قدره، حتى لا يدانيه أحدٌ من الناس. ومن مظاهر ذلك:

- عدم التقدم عليه بقولٍ أو رأيٍ أو قضاء. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣].
- خفض الصوت في حضرته. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٤].
- مناداته بلقب النبوة والرسالة (يا نبيَّ الله، يا رسول الله)، وبأحبِّ كناه إليه (أبي القاسم). قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٥].
- تعظيم كلّ ما له تعلق به ﷺ كاسمه، وحديثه، وسنته، وآل بيته، وصحابته، ومسجده، وقبره.

٦- الذبُّ عنه ﷺ:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٦].

---

١ – الآيتان ٨و٩ من سورة الفتح.
٢ – أخرجه البخاري.
٣ – الآية الأولى من سورة الحجرات.
٤ – الآية الثانية من سورة الحجرات.
٥ – الآية ٦٣ من سورة النور.
٦ – الآية ٨ من سورة الحشر.

ومعنى الذبّ عنه ﷺ: نصرته وحمايته والدفاع عنه، وعن كلّ ما يتصل به من قريبٍ أو بعيد، ومن مظاهر ذلك:

- فداؤه بالأنفس والأموال والأولاد، في المنشط والمكره، والعسر واليسر. قال أنس بن مالك ﷺ: «لما كان يوم أُحد حاص أهل المدينة حيصةً، قالوا: قُتل محمد. حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزِّمة، فاستُقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها[1]، لا أدري أيُّهم استُقبلت به أولاً، فلما مرّت على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنك! تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟! يقولون: أمامك. حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمتَ من عطب»[2].
- صيانة سنته ﷺ، وحفظها من الأحاديث الموضوعة.
- نصرة آل بيته وصحابته ﷺ. قال ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم بعدي غرضًا، فمن أحبّهم فبحبي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[3].

  وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله في أهل بيتي، أنشدكم الله في أهل بيتي، أنشدكم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد: من أهل بيته؟ فقال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس[4].
- الذبُّ عن عرضه، وعرض زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، وخاصةً أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي برّأها الله عزَّ وجلَّ من فوق سبع سماوات.

قال العلماء: من سبَّ النبيّ ﷺ، أو استهزأ بشيءٍ مما جاء به، أو تنقَّصه أو احتقره – سواءً بالقول أم بالفعل[5] – فهو كافرٌ، يُقتل ردةً. حتى قال بعض أهل العلم إنه لا يُستتاب، بل يُقتل فورا.

---

١ – أي أُخبرت بمقتل أبيها وابنها وزوجها وأخيها.
٢ – رواه الطبراني.
٣ – رواه الترمذي، وقال: حسن غريب.
٤ – رواه مسلم.
٥ – كمن يرسم صورةً له ﷺ في شكلٍ مخزٍ أو مضحك.

نشاط ٣ :

ارجع إلى سورة النور في المصحف الشريف، واستخرج منها الآيات التي برَّأ الله فيها السيدة عائشة رضي الله عنها من الإفك، واكتبها في كراستك.

التقويـــم

١– ما المقصود بحقوق النبيّ ﷺ؟ وما حكم التزام المسلمين بها؟

٢– اذكر حقَّين من حقوق النبيّ ﷺ على أمته، مستدلاً على كلّ حق بآية قرآنية أو حديث شريف.

٣–كان الصحابة ﷺ يُحبُّون النبيّ ﷺ ويعظّمونه أشدَّ التعظيم. استدل على ذلك بمواقف من سيرتهم.

٤– ما معنى قول الرسول ﷺ: «أنشدكم الله في أهل بيتي"؟

٥– ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

( ) نسخ الإسلام جميع الرسالات السماوية السابقة.

( ) ترك الابتداع في الدين من مظاهر الإيمان به ﷺ.

( ) متابعة النبيّ ﷺ تعني اقتفاء أثره، والاهتداء بهديه.

( ) من يسبُّ النبيَّ ﷺ فهو فاسق، ويُقتل حدًّا.

النشاط:

ارجع إلى كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض رحمه الله، واستخرج منه حقوقًا أخرى للنبي ﷺ، ودوّنها في كراستك.

الفصل الخامس:

خطر اليهود والمنافقين على الإسلام والمسلمين

خطر اليهود

لم يسلك المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة مع اليهود مسلكًا عدوانيًا، بل إنّ رسول الله ﷺ عقد معهم معاهدة نصّ فيها صراحةً على أنّ اليهود أحرار في عقيدتهم وعباداتهم، ولقد كان المتوقع من اليهود – لأنهم أهل كتاب – أن يسارعوا إلى الدخول في الإسلام، فإن ظلُّوا على دينهم وقفوا مع المسلمين ضد الشرك الباغي.

نقض اليهود للمعاهدة:

ضرب اليهود بما جاء في كتابهم عرض الحائط، فلم يدخل منهم الإسلام إلا عددٌ قليل، كما أنهم لم يكونوا مخلصين ولا جادّين في المعاهدة التي أبرموها مع رسول الله ﷺ؛ لأنهم سارعوا إلى نقض بنودها، وبادروا المسلمين بالعداوة، وجاهروهم بها، محاولين شغلهم عن نشر الإسلام وبناء دولته، وذلك لحرصهم على أن يظلُّوا متحكمين في الجزيرة العربية باحتكارهم للمال وإقراضه لغيرهم بالربا، واحتكارهم لتجارة السلاح أيضًا لأنهم صانعوه، وقد وجدوا له تجارة رائجة عند قبائل العرب المتنافرة المتحاربة.

وقد رأى اليهود في الإسلام عدوّهم اللدود؛ لأنه سيقضي بتشريعاته على تحكمهم في الناس، والتسلط عليهم، فقد حرّم الإسلام الربا فقطع على اليهود استغلال المحتاجين ومصَّ دمائهم، وألّف بين قلوب قبائل العرب الذين اعتنقوه بعد أن كانوا قبله متقاتلين متناحرين، وبذلك كسدت تجارة السلاح عند اليهود.

ولما أخذت شوكة المسلمين تشتد، ودعوة الرسول ﷺ تمتد، أخذ اليهود يدبّرون المؤامرات لتوهين المسلمين، وتخذيلهم، والفتِّ من عضدهم، ومن هذه المؤامرات:

١– إشعال نار الفتنة بين المسلمين:

مرَّ شاس بن قيس اليهودي على بعض المسلمين من الأوس والخزرج، وهم في مجلس قد جمعهم فاغتاظ من ذلك، وأكل الحقد قلبه، فأمر أحد اليهود بأن ينضم إلى مجلسهم ويحدثهم عن يوم بُعاث[1]، ويُنشدهم

١– يوم بُعاث انتصر فيه الأوس على الخزرج، وكان قبل الهجرة بخمس سنوات تقريبا.

بعض ما تقاولوه من أشعار، فنفّذ اليهودي ما أمره به شاس بن قيس، فاشتعلت نار الفتنة بين الجالسين من الأوس والخزرج، وكادت الحرب تنشب بينهم، لولا أنّ رسول الله ﷺ خرج إليهم وذكّرهم بنعمة الإسلام عليهم، فبكوا، وتعانقوا. وبذلك باء كيد شاس بن قيس وتدبيره بالفشل.

٢- المجاهرة بعداء المسلمين:

كان يهود بني قينقاع أول من جاهر المسلمين بالعداء، فلم يكتفوا بإهانتهم المرأة المسلمة التي كانت عند صائغٍ في حيّهم، بل إنهم أعلنوا العصيان، وتنكروا لما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ، وأخذوا يهوّنون من شأن انتصار المسلمين في بدر، ويهدّدون المسلمين ويتوعدونهم، ولقد واجهوا رسول الله ﷺ بقولهم: "لا يغرنّك أنك لقيتَ قومًا [١] لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة، أما واللهِ لئن حاربناك لتعلمنّ أننا نحن الناس»، ثم تتابع تمرد بقية طوائف اليهود على المعاهدة.

٣- مناصرة المشركين على المسلمين:

اندفع اليهود بحقدهم إلى مناصرة المشركين، وانحيازهم إلى جانبهم ضد المسلمين، وتحريضهم على حربهم، قال تعالى: ﴿**تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [٢].

وقد بدت مناصرتهم للمشركين على المسلمين واضحة بعد طرد (بني قينقاع) من المدينة، عندما ذهب زعماؤهم إلى مشركي مكة وحرّضوهم على حرب المسلمين بدافع الثأر لقتلاهم في بدر، وهذا خبث ومكر من اليهود، فهم في حقيقة الأمر يريدون الانتقام لأنفسهم بسبب إخراجهم من المدينة، ولكنهم جبُنوا وعجزوا عن حرب المسلمين فجعلوا كفار مكة في الصدارة، ووقفوا من ورائهم، وقد نجم عن هذا التحريض **غزوة أُحد**.

كما قام زعماء (بني النضير) بعد طردهم من المدينة بسبب محاولتهم قتل رسول الله ﷺ بالذهاب إلى مشركي مكة وأغروهم بمهاجمة المدينة، والقضاء على الإسلام والمسلمين، ووعدوهم بمناصرتهم

١- يقصدون قريشًا في غزوة بدر.

٢- الآية ٨٠ من سورة المائدة.

ومساعدتهم بالمال والسلاح، وقد نتج عن هذا التحريض **غزوة الأحزاب**، وفي أثناء حصار المشركين للمدينة في هذه الغزوة نقض (بنو قريظة) العهد، وانحازوا إلى جانب المشركين المهاجمين.

ولقد بالغ اليهود في عداوتهم للإسلام والمسلمين، فأعلنوا أنّ كفار قريش أهدى سبيلاً من المؤمنين، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ [1]، مخالفين بمقولتهم هذه ما جاء في التوراة عن الإسلام ورسوله ﷺ.

٤- محاولة قتل النبي ﷺ:

بعد غزوة خيبر أهدت زوجة سلام بن مشكم شاة مسمومة إلى رسول الله ﷺ، فتناول منها مضغة فلاكها [2] ثم لفظها وهو يقول: «إنّ هذا العظم ليخبرني بأنه مسموم»، واعترفت المرأة بما صنعت، وقالت للنبي ﷺ: «بلغتَ من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكًا استرحتُ منه، وإن كان نبيًّا فسيُخبر»، فتجاوز عنها النبي ﷺ.

نشاط:

ابحث عن مؤامرات أخرى لليهود ضد الإسلام والمسلمين، ودوّنها في كراستك.

١- الآية ٥١ من سورة النساء.

٢- مضغها.

التقويـــم

١– عقد الرسول ﷺ مع اليهود معاهدة بعد هجرته إلى المدينة.

- علام نصت هذه المعاهدة؟
- هل التزم اليهود بما جاء في هذه المعاهدة؟ ولماذا؟

٢– رأى اليهود في الإسلام عدوّهم اللدود. وضّح ذلك.

٣– ماذا فعل شاس بن قيس اليهودي لإشعال الفتنة بين المسلمين؟ وهل وُفّق في مسعاه؟

٤– من أوَّل من جهر بالعداء للإسلام من اليهود؟ وما أبرز مظاهر عدائهم؟

٥– اندفع اليهود بحقدهم إلى مناصرة المشركين ضد المسلمين. اذكر موقفين من سيرتهم يوضّحان ذلك.

٦– ما الذي فعلته زوجة سلام بن مشكم مع الرسول ﷺ؟

٧– أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وبعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

( ) سارع اليهود إلى الدخول في الإسلام؛ لأنهم أهل كتاب.

( ) احتكر اليهود تجارة السلاح وصناعته.

( ) قال اليهود: إنّ المشركين أهدى من المؤمنين سبيلا.

( ) أمر الرسول ﷺ بقتل زوجة سلام بن مشكم؛ لأنها حاولت قتله.

خطر المنافقين

عندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وقامت بها دولة الإسلام، وجدت طائفة من أهل المدينة أنّ الإسلام قد تعارض مع مآربهم الشخصية، وقضى على مصالحهم الدنيوية، فرأوا فيه عدوّهم اللدود، ولكن ماذا يفعلون وقد جبنوا عن مواجهة رسول الله ﷺ والمسلمين؟ فآثروا النفاق إرضاءً لنفوسهم المريضة.

وقد تزعّم هذه الفئة الضالة عبد الله بن أُبيّ بن سلول، أحد زعماء الخزرج، الذي امتلأ قلبه حقدًا وحسدًا على الإسلام ورسوله ﷺ.

سبب عداوة ابن سلول للرسول ﷺ:

كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على تتويج عبد الله بن أُبيّ بن سلول ملكًا على يثرب، وأخذوا يُعدُّون له تاج الملك، وبات يحلم بعظمة الملك، إلا أنهم انصرفوا عنه عند ظهور الإسلام فيهم، وهجرة الرسول ﷺ إليهم، فتحطمت نفس ابن أُبيّ، وامتلأ قلبه حقدًا وغيظًا على الإسلام والمسلمين؛ لاعتقاده أنّ الرسول ﷺ هو الذي سلبه الملك الذي بات حقيقةً بالنسبة له، فدفعه هذا إلى الإغراق في الكيد للإسلام والمسلمين كلما سنحت له الفرصة، وذلك منذ الهجرة وحتى بعد أن تظاهر بالإسلام بعد غزوة بدر، وإلى أن مات عقب غزوة تبوك، وقد كشف الله تعالى مؤامرات المنافقين الدنيئة المتكررة للكيد للإسلام والمسلمين. ومن هذه المؤامرات:

١- تفريق كلمة المسلمين:

خرج عبد الله بن أُبيّ وأتباعه مع المسلمين في غزوة أُحد، وقبل بدء المعركة أظهر تمرده فقال: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ وانسحب عائدًا بثلث الجيش، وكان هدفه إحداث تصدّع واضطراب في صفوف المسلمين، وبالفعل بدا من بني حارثة من الأوس، وبني سلمة من الخزرج التردد والميل إلى الانسحاب، ولكنّ الله أراد للطائفتين الخير فتولى أمرهما، وثبّت القلوب مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١]، وبذلك أحبط الله مؤامرة المنافقين.

١- الآية ١٢٢ من سورة آل عمران.

٢- مناصرة المنافقين لأعداء الله:

عندما نقض يهود بني قينقاع العهد أعلن الرسول ﷺ الحرب عليهم، لكنّ عبد الله بن أُبيّ رغب في عدم قتلهم ليظلوا شوكةً في حلق المسلمين؛ لأنهم كانوا أشد طوائف اليهود شراسةً وفجرًا، وأخذ يلحُّ على رسول الله ﷺ في العفو عنهم مستغلاً حداثة إسلامه وهو يقول: يا محمد، أحسن في مواليّ [١]، ولم يزل يلحّ حتى استجاب له رسول الله ﷺ، ووهبهم له على شرط جلائهم عن المدينة، فنفذوا صاغرين.

٣- إثارة الفتن بين المسلمين:

في أثناء عودة الرسول ﷺ والمسلمين من غزوة بني المصطلق حدث نزاعٌ بين مهاجر وأنصاري، فاستغلّ عبد الله بن أُبيّ هذا الموقف، وأخذ يقول لأتباعه وغيرهم من الأنصار: أَوَقَدْ فعلوها؟ قد كاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول : "سمّن كلبك يأكلك"، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ. ثم استطرد قائلاً: "هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لئن أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم".

وقد جبُن عبد الله بن أُبيّ عن مواجهة الرسول ﷺ بما قال، وأخذ يُقسم له أغلظ الأيمان بأنه ما قال ذلك، وإنما افتُريَ عليه، ولكنّ الله فضحه بنزول سورة (المنافقون)، وكم كان عبد الله بن أُبيّ خبيثًا في كيده عندما حاول إحياء العصبية الإقليمية عند الأنصار بعد أن أماتها الإسلام بإعلان الأخوة بين المسلمين جميعًا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٢].

٤- إفشاء أسرار المسلمين:

عندما خرج رسول الله ﷺ لفتح خيبر، سارع عبد الله بن أُبيّ بإبلاغ أهلها، ورغم أنه حذّرهم من المسلمين، إلا أنه قلّل من شأنهم أيضًا لقلة عددهم وعدتهم، وعندما علم يهود خيبر بذلك دبّ الرعب في قلوبهم، وطلبوا المدد من غطفان حلفائهم، فهبّت غطفان لنصرة يهود خيبر، وفي الطريق استولى

١- لأنهم كانوا حلفاء الخزرج في الجاهلية.

٢- الآية ١٠ من سورة الحجرات.

عليهم الرعب فآثروا العودة إلى ديارهم، وكفى الله المؤمنين شرّهم، وفتح على المسلمين خيبر، وباءت محاولة المنافقين بالفشل.

ومن هنا كان المنافقون أشد خطرًا علينا من الكفار؛ لأننا نعرف الكافر فنتقيه، أما المنافق فإنه يخالطنا ويندس في صفوفنا، ويعرف أسرارنا فيُلحق الأذى بنا.

٥- تخذيل المسلمين عن الجهاد:

ارتاحت نفوس المنافقين للخصومة التي وقعت بين المسلمين والروم، وباتوا يُمنّون أنفسهم بالقضاء على الإسلام والمسلمين بأيدي الروم، وعندما أعلن الرسول ﷺ عن الخروج إلى تبوك، أخذ المنافقون في بثّ سموم التخاذل بين الناس بتخويفهم وإرهابهم؛ ليقعدوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ، وكانوا يقولون: «أتحسبون أنّ جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنّا بكم غدًا مقرنين في الحبال»، وعابوا على بعض المؤمنين كثرة تبرعاتهم لتجهيز الجيش، ووصفوهم بالسفه، كما سخروا من قلة تبرعات الفقراء من المسلمين. وإنما فعلوا ذلك لتشكيك المسلمين في أعمالهم بمحاولة إيهام المكثر والمقل بأنّ كلاً منهما قد جانبه الصواب فيما فعل، ولكن هيهات لهذه الأراجيف أن تنال من القلوب المؤمنة التي ثبّتها الله على الحق، وقد سجّل القرآن الكريم هذا الموقف في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[١].

٦- اتخاذ الإسلام ستارًا لحرب المسلمين:

اتخذ المنافقون وكرًا لهم يجتمعون فيه لتدبير المؤامرات للمسلمين، والكيد للإسلام، وليكون مركز تجمّع يلتقي فيه أعداء الله، وسموه مسجدًا، ولقد بالغوا في خداعهم عندما ألحُّوا على رسول الله ﷺ في الذهاب إليه والصلاة فيه، ليكتسب شرعية تجلب إليه المسلمين للصلاة فيه، فيتمكّن المنافقون من الانفراد بهم، وزعزعة عقيدتهم، لكنّ رسول الله ﷺ اعتذر لانشغاله بالخروج إلى تبوك.

وعندما عاد ﷺ من تبوك أعلمه الله بحقيقة هذا البناء، فأرسل اثنين من أصحابه وأمرهم بإحراقه وهدمه،

١- الآية ٧٩ من سورة التوبة.

وقد سجّل القرآن الكريم هذه الحادثة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (١).

نشاط:

ابحث عن مؤامرات أخرى للمنافقين ضد الإسلام والمسلمين، ودوّنها في كراستك.

صبر النبي ﷺ على المنافقين أملاً في توبتهم:

توهّم المنافقون أنهم يستطيعون خداع الله ورسوله والمؤمنين، ولذلك كانوا يسارعون إلى تبرير موقفهم بعد كل حادثة، ويُقسمون بأغلظ الأيمان، يتقون بذلك غضب رسول الله ﷺ عليهم ﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ فلم يقتل منهم أحدًا حتى لا يقال – عن جهل – إنّ النبيّ يقتل أصحابه، بل إنه لم يُعجّل بفضحهم حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتوبوا إلى ربهم الذي لا يردُّ تائبًا كما وعد بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُم لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣).

---

١ – الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

٢ – الآية ٢ من سورة المنافقون.

٣ – الآيتان ١٤٥و١٤٦ من سورة النساء.

التقويـــم

١– من زعيم المنافقين؟ وما سبب حقده على رسول الله ﷺ؟

٢– وضّح موقف المنافقين في غزوة أحد.

٣– كان لعبد الله بن أُبيّ موقفًا مخزيًا مع يهود بني قينقاع. تحدث عن ذلك.

٤– بيّن دور المنافقين في غزوة خيبر.

٥– من أساليب المنافقين "**حرب الإسلام باسم الإسلام**". وضّح ذلك.

٦– علل لما يأتي:

- تحريض عبد الله بن أُبيّ الأنصار على المهاجرين.
- قول المنافقين للمسلمين عند التجهيز لغزوة تبوك: "والله لكأنّا بكم غدًا مقرّنين في الحبال".
- صبر الرسول ﷺ على المنافقين وعدم قتل أحد منهم.
- عدم فضح الرسول ﷺ المنافقين حتى فضحهم الله تعالى.

الفصل السادس:

تراجم لعلماء كانت لهم جهود في خدمة الإسلام

الحسن البصري رضي الله عنه

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار التابعين وفضلائهم. كان عالـمًا فقيهًا محدثًا ناسكاً عابداً، جمع بين العلم والمعرفة، والتقوى والزهد والورع. أبوه يسار البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهما من أهل ميسان، ومنهما ولد الحسن البصري الذي ملأ الدنيا علماً وصلاحاً.

مولده ونشأته:

ولد الحسن البصري في المدينة المنورة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢١ هجرية، ما يوافقها ٦٤٢ للميلاد. وترعرع بوادي القرى من نواحي المدينة. فتح عينيه على الدنيا فوجد صحابة رسول الله ﷺ، فتربى على أعينهم وتتلمذ على أيديهم وروى عنهم الكثير من حديث النبي عليه الصلاة والسلام. وقد شُغف بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلازمه طويلاً، ونهل وتأثر بورعه وزهده.

هجرته إلى البصرة:

كانت البصرة آنذاك حاضرة من حواضر العلم والثقافة في العالم الإسلامي، فقد ازدادت حلقات العلم في مساجدها وأسواقها، واتسعت أروقة المساجد للمترددين عليها من طلاب العلم من كل مكان، حتى أصبحت عامل جذب قوي لكثير من علماء المسلمين من أمثال الحسن البصري وغيره. من جهة أخرى آثر أن يصحب والديه بعد أن عزما على الرحيل بعد وفاة أم سلمة رضي الله عنها. لهذه العوامل هاجر الحسن إلى البصرة واستقرَّ بها ونُسب إليها.

علمه وفقهه:

كان لنشأة الحسن بين صحابة رسول الله ﷺ الأثر البالغ في تكوين علمه وثقافته. حفظ القرآن في سنٍّ مبكرة في خلافة عثمان رضي الله عنه، وجلس إلى الصحابة الكرام في مسجد رسول الله ﷺ يأخذ عنهم، ويقرأ على أيديهم، ويروي الحديث عنهم، حتى استوت له أسباب العطاء واستنارت بصيرته بالعلم، وأخذ يحتل مكانته العلمية المرموقة في أعين الناس وقلوبهم.

في البصرة كانت له حلقة للعلم في مسجدها الكبير، وفي بيته كان له مجلس للخاصة من طلابه، وفي كلا المجلسين كان يدرس الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن وعلوم الفقه.

سُئل أنس بن مالك ﷺ مرة عن مسألة فقال: سلوا عنها مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا. وقال عنه أنس أيضاً: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين: الحسن وابن سيرين، وما رأت عيناي أفقه من الحسن. وقال عنه الإمام النووي رحمه الله: كان الحسن جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، مأموناً، عابداً، ناسكاً،كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً.

ورعه وزهده:

نشأ الحسن البصري في أول حياته في بيتٍ من بيوت النبوة هو بيت أم سلمة رضي الله عنها. ولازم علي ابن أبي طالب ﷺ فترة طويلة من عمره، فتزود بالإيمان والتقوى، وعافت نفسه الدنيا ورغب عنها، حتى أصبح في مصاف الرعيل الأول من أئمة الزهد والورع، وكان دائماً يتمثل البيت التالي:

وما الدنيا بباقيةٍ لحيٍّ ولا حيٌّ على الدنيا بباقٍ

كتب إلى عمر بن عبد العزيز كتابًا مطولًا جاء فيه: احذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزيّنت بخدعها، وغرّت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوّفت لخطّابها، فأصبحت كالعروس المجلوة، العيون إليها ناضرة، والنفوس لها عاشقة... فاحذرها، فإنّ أمانيها كاذبة، وإنّ آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمةٌ زائلة، وإما بليةٌ نازلة، وإما مصيبةٌ موجعة، وإما منيةٌ قاضية.

وسُئل مرة عن الدنيا فقال: إنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام: يومٌ مضى لا ترجوه، ويومٌ أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويومٌ يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا؟

وسأل مسلمة بن عبد الملك خالد بن صفوان عن الحسن وكان أعرف الناس به فقال: إنه امرؤٌ سريرته كعلانيته، وقوله كفعله، إذا أمر بمعروف كان أعملَ الناس به، وإذا نهى عن منكر كان أترك الناس له، ولقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهداً بما في أيديهم، ورأيتُ الناس محتاجين إليه طالبين ما عنده.

وقال إبراهيم بن عيسى اليشكري: ما رأيتُ أطول حزناً من الحسن، وما رأيته إلا حسبته حديث عهدٍ بمصيبة.

وقال حكيم بن جعفر: لو رأيتَ الحسن لقلت: قد بُث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيتُ أخوف من الحسن وعمر عبد العزيز، كأنّ النار لم تخلق إلا لهما. وقال مبارك بن فضالة: جاء رجل إلى الحسن يقول له : أعياني قيام الليل. فقال: قيدتك خطاياك. يا ابن آدم: بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعنّ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

مواقف من حياته:

في حياة الحسن البصري مواقف عظيمة، تجلّت فيها جرأة المؤمن على قول كلمة الحق. وأنه لا يخشى في الله لومة لائم، ومن هذه المواقف:

أولا- موقفه مع عمر بن هُبيرة الفزاري:

ولّى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة الفزاري العراق، وكان مقرباً منه فأضاف إليه خراسان فأرسل ابن هبيرة يستدعي الحسن البصري ومحمد بن سيرين وعامراً الشعبي باعتبارهم كبار علماء الفكر والدين في العراق آنذاك وقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون، فيكتب إليَّ بالأمر من أمره، فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فما ترون؟ فأجاب كلٌّ من ابن سيرين والشعبي إجابة فيها تخلص ومرونة. فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن؟ فقال الحسن: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، ويوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك. يا ابن هبيرة: إن تعص الله فإنما جعل الله في هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تركبنّ دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وإزاء هذا النصح الحكيم الشجاع ارتفع الحسن في عين ابن هبيرة، وأجازه وأجاز زميليه.

ثانياً- موقفه مع الحجّاج بن يوسف الثقفي:

لما فرغ الحجّاج من بناء قصره في مدينة واسط دعا الناس لزيارته، فانتهز الحسن فرصة هذا الحشد الكبير من الناس، فقام فيهم خطيباً وقال: إنّ فرعون شيّد أعظم مما شيّد، وبنى أعلى مما بنى .ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيّد، فليت الحجّاج يعلم أن أهل السماء قد صدقوه، وأن أهل الأرض قد غرُّوه. ولما بلغ الحجّاج ذلك استشاط غضباً وأمر بالجلاد وقال: عليَّ بالحسن البصري. وجاء الحسن مستعيناً بالله ومطمئنًا وقوراً، ودخل على الحجّاج، فلما رآه أخذته هيبة الرجل وتغيّر حاله، فأفسح له المجلس وقال: ها هنا يا أبا سعيد ها هنا، فجلس الحسن مكانه، وأخذ الحجّاج يسأله في أمور الدين وهو يجيبه إجابة العالم المتمكن. وظلّ معه على هذا الحال وقتاً طويلاً حتى ودّعه وانصرف.

ثالثاً- موقفه مع عمر بن عبد العزيز:

لّما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليتُ بهذا الأمر، فانظر لي أعواناً يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله.

وفاته:

بعد حياة دامت ثمانية وثمانين عاماً، حافلة بالعلم والمواقف العظيمة انتقل الحسن البصري إلى جوار ربه، في أوائل رجب عام ١١٠ للهجرة، وقد شيّعت جنازته بعد صلاة الجمعة جموعٌ غفيرةٌ من الناس، وتذكر الروايات أنه لم تُقم صلاة العصر بجامع البصرة الكبير يومذاك حيث انشغل جميع الناس بتشييع الحسن البصري و لم يبق بالمسجد من يقيم صلاة العصر، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مكانة هذا الرجل وعظمته في قلوب الناس.

التقويـــم

١ – من خلال دراستك لشخصية الحسن البصري، عرّف بهذه الشخصية متحدثًا عن مولده ونشأته.

٢ – كان الحسن البصري رحمه الله عالماً تقياً زاهداً. وضّح ذلك مستشهدًا بأقوال العلماء والمؤرخين فيه.

٣ – للحسن البصري موقفٌ عظيمٌ مع الحجّاج بن يوسف الثقفي. بيّن هذا الموقف موضحاً ما فيه من عبرٍ وعظات.

٤ – اذكر ثلاث فوائد استفدتها من دراستك لشخصية الحسن البصري.

٥ – تكلم بإيجاز عن:

– هجرة الحسن البصري إلى البصرة.

– موقفه مع عمر بن هبيرة الفزاري.

– وفاته.

الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. إمامٌ في العلم والدين والزهد والورع، وأحد كبار التابعين وأجلائهم. لُقِّب بالصادق لأنه لم يعرف الكذب في حياته. أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ولهذا اشتهر عنه قوله: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

مولده ونشأته:

ولد الصادق بالمدينة المنورة سنة ثمانين للهجرة من آل بيتٍ كريم وأبوين كريمين، هما محمد الباقر سليل النبي ﷺ، وأم فروة سليلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفي كنف هذا البيت. وفي ظلِّ هذين الأبوين نشأ الصادق وترعرع. وكان ينهل من ثلاثة مناهل: أبوه محمد الباقر، وجده علي زين العابدين بن الحسين، وجده لأمه القاسم بن محمد. وكان لكلٍّ من هؤلاء الثلاثة علمه وفضله. كذلك كان لنشأته بالمدينة واختلاطه بكبار التابعين وأخذه عنهم أثرٌ في تكوين شخصيته العلمية، واستواء معرفته وثقافته.

علمه:

أقبل جعفر الصادق على العلم والتعلم بعقله وقلبه معًا، ولم يدخر جهدًا في طلبه. حفظ القرآن ودرس علومه، ودرس الحديث والفقه من كل نواحيه، حتى صار إمام عصره في العلم والمعرفة، وليس أدلّ على ذلك من أن يأخذ عنه أئمةٌ في العلم من أمثال أبي حنيفة ومالك. ولم يقتصر علمه على علوم الشريعة فحسب، بل تعدّاها إلى دراسة علم الكون والفلك، وتذكر بعض المصادر أنّ جابر بن حيّان كان تلميذًا له في هذا المجال، وهو الذي ألّف كتابًا في ألف ورقة ضمّنها رسائل جعفر الصادق التي تبلغ خمسمائة رسالة.

ويروى في الاستدلال على قوة علمه: ((عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: قال لي أبو جعفر المنصور: يا أبا حنيفة: إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد، فهيّأ له أربعين مسألة، والتقى الإمامان بالحيرة في حضرة المنصور، ويقول أبو حنيفة في اللقاء: أتيته فدخلتُ عليه

وجعفر بن محمد جالسٌ عن يمينه، فلما بصرتُ به دخلتني من الهيبة لجعفر الصادق بن محمد ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمتُ عليه، وأومأ فجلستُ، ثم التفت إليه وقال: هذا أبو حنيفة. فقال: نعم، ثم التفت إليَّ وقال: يا أبا حنيفة ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلتُ ألقي عليه فيجيبني، فيقول أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيتُ على الأربعين مسألة، ثم قال أبو حنيفة: إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس).

واضحٌ من خلال هذه المناظرة أن الصادق يأخذ بما يعتقد أنه الحق، دون تعصبٍّ أو هوى وهو بذلك صاحب شخصيةٍ مستقلةٍ قادرةٍ على الترجيح والموازنة.

كذلك خاض في علم الكلام دراسة وبحثًا، فكان له فيه باع، وله في هذا المجال مع المتكلمين مناظراتٌ ومساجلاتٌ فنّد فيها كثيراً مما عارض الشرع والعقل من آرائهم.

لقد ساعد الصادق في ذلك كله بعضٌ من صفاته الشخصية، فقد تميّز بإخلاص العلماء وصبرهم على الكتاب والبحث، إلى جانب أنه كان شديد الذكاء، نافذ البصيرة، قويَّ الإدراك، ذا بديهةٍ حاضرةٍ دائماً، مما أهّله لهذه المكانة العلمية المرموقة.

صفاته:

اتصف الصادق إلى جانب الصدق الذي تلقب به بصفات شخصية جعلته يتبوأ مكانة عظيمة في نفوس الناس، من هذه الصفات:

١- الورع والتقوى:

فقد ابتعد عن كل حرام، واتجه إلى الله بقلبه وجوارحه في كل أفعاله وأقواله. يقول فيه الإمام مالك: اختلفتُ إليه زماناً، فما كنتُ أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائمًا، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يُحدّث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله، وما رأيته إلا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي.

٢- الصبر عند الشدائد:

عُرف عنه الصبر والجلد عند نزول المكروه طيلة حياته التي حفلت بالأحداث والمصائب. مات أحد أبنائه وهو طفلٌ صغير من غصة أصابته، فبكى وشكر الله وقال: لئن أخذتَ لقد أبقيت ولئن ابتليتَ لقد عافيت. ولما خرج إلى دفنه قال: سبحان من يقبض أبناءنا ولا نزداد له إلا حباً! ولما واراه التراب قال: إنا قومٌ نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا، فإذا أنزل ما نكره فيمن نحب رضينا.

٣- الكرم والبذل في سبيل الله:

كان سخيًا كريمًا يعطي من يستحق من المعوزين وأصحاب الحاجات، وكان يأمر أصحابه ويحثهم على البذل والجود، وله في ذلك قوله: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره. وطريقته في العطاء أنه يحمل الطعام بنفسه ليلاً إلى ذوي الحاجة ويوزعه عليهم. ولا يدرون من المعطي، ولما مات انقطع ذلك المحسن، وعرفوا أنه الصادق.

٤- الحلم والتسامح:

عُرف عنه أنه يقابل الإساءة بالإحسان، وكان يقول: إذا بلغك عن أخيك شيءٌ يسوؤك فلا تغتم، فإن كنت كما يقول القائل كانت عقوبةً قد عُجّلت، وإن كنت على غير ما يقول كانت حسنةً لم تعلمها. وقد بلغ به التسامح أنه كان يدعو لمن أساء إليه واغتابه أن يغفر الله له هذا الذنب.

٥- المهابة:

كان جعفر الصادق ذا شخصية قوية وسمتٍ مهيب، حتى أن الطغاة والعصاة ودعاة الرذيلة يتحاشون لقاءه ومناظرته. التقى مرةً بأحد دعاة الزندقة يدعى ابن العوجاء، فلما رأى الصادق أخذته هيبته و لم يرد بكلمة واحدة، فتعجب الصادق والحاضرون، فقال له: ما يمنعك من الكلام؟ فقال الزنديق: بدا جلالٌ لك ومهابة، فلم ينطق لساني بين يديك، وإني شاهدتُ العلماء وناظرتُ المتكلمين فما داخلتني هيبةٌ قط مثل ما داخلني من هيبتك.

رسائله ووصاياه:

لقد ترك الصادق كنزًا عظيمًا من الرسائل والوصايا النفيسة، لا يضل من اتخذها دستورًا في حياته. وقد جاءت هذه الرسائل والوصايا حصيلة تجربة وخبرة عميقة بالحياة، إلى جانب التزامه الدائم بمبدأ الحق، واتصافه بالتقوى والحكمة والورع. من هذه الوصايا:

١- وصيته لابنه موسى:

يا بُنى: اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا، وتمت حميدًا، يا بُني: من رضي بما قسمه الله له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرًا، ومن لم يرضَ بما قسمه الله اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، يا بُني: من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، من داخل السفهاء حُقّر، ومن خالط العلماء وُقّر، ومن دخل مداخل السوء اتُهم، يا بُني: قل الحق لك أو عليك، يا بُني: كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سألك معطياً، يا بُني: إن زرت فزُر الأخيار، ولا تزر الفجار، فإنهم صخرةٌ لا يتفجر ماؤها، وشجرةٌ لا يخضَّرُ ورقها، وأرضٌ لا يظهر عشبها.

٢- وصيته لسفيان الثوري:

يا سفيان: لا مروءة لكذوب، ولا أخ لملول، ولا راحة لحسود. ولا سؤدد لسيء خلق، يا سفيان: ثق بالله تكن مؤمناً، وارضَ بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر يُعلّمك فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل، يا سفيان: من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته.

٣- من وصاياه العامة:

الصلاة قربان كلِّ تقي، والحج جهاد كلِّ ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتقدير نصف العيش، ومن أحزن والديه فقد عقّهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعةً إلا عند ذي حسب أو دين، والله يُنزل الصبر على قدر المصيبة، ويُنزل الرزق على قدر المؤنة، ومن قدر معيشته رزقه الله، ومن بذّر معيشته حرمه الله.

وفاته:

بعد عمر ناهز الثمانية والستين عامًا، حافل بالخير والعطاء، توفي أبو عبد الله جعفر بن محمد بالمدينة المنورة سنة ١٤٨ هجرية، ودفن بالبقيع عند قبر أبيه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، رضي الله عنهم أجمعين .

التقويـــم

١ – من هو جعفر الصادق؟ وإلى من ينتهي نسبه؟

٢– من هي أمه؟ وإلى من ينتهي نسبها؟

٣– أين ولد الصادق؟ ومتى؟ وكيف كانت نشأته؟

٤– كان الصادق حجة في علوم الدين. وضّح ذلك مستشهداً بدليل واحد على قوة علمه في هذا المجال.

٥– لم يقتصر علم الصادق على علوم الدين فقط. وضّح ذلك.

٦– كان لجعفر الصادق صفات عقلية أهّلته للمكانة العلمية التي وصل إليها. وضّح ذلك.

٧– اتصف الصادق بصفاتٍ جعلته يتبوأ مكانةً عظيمة في نفوس المسلمين. اذكر هذه الصفات مؤيداً إجابتك بالأمثلة.

٨– اختر ما أعجبك من وصية الصادق لابنه موسى، معللاً اختيارك وإعجابك.

٩– هات من وصية الصادق لسفيان الثوري ما يفيد معاني هذه العبارات:

- القناعة كنزٌ لا يفنى.
- ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه.
- صحبة الأشرار طريقٌ إلى الشر.
- العاصي ذليلٌ ولو كان قوياً.

١٠– أين كانت وفاة جعفر الصادق؟ ومتى؟

الإمام الغزالي (رحمه الله)

هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إمامٌ من أئمة الدين، وعملاقٌ من عمالقة الفكر، صنّف في مختلف العلوم والفنون، حتى صار يُشار إليه بالبنان. أبوه صالحٌ تقيٌ ورع، يجالس العلماء ويتوفّر على خدمتهم والإحسان إليهم طلباً للأجر والثواب، وكان يعمل في غزل الصوف ولا يأكل إلا من كسب يده، ورُوي أنه دعا الله كثيراً أن يرزقه ولداً يكون له شأنٌ في علوم الدين، وقد أجاب الله دعاءه.

مولده ونشأته:

وُلد الغزالي بمدينة طوس ببلاد خراسان سنة ٤٥٠ هـ، توفي والده وهو صغيرٌ وقد أوصى صديقاً له من أهل الخير والصلاح بأن يتعهد ولديه محمد وأحمد بالتربية والرعاية، وترك له مالًا يسيرًا ينفقه عليهما، ووفّى هذا الصديق بوعده، فلما نفد المال لم يجد ما ينفقه عليهما فقد كان فقيرًا، فألحقهما بمدرسةٍ تؤوي ذوي الحاجة من الطلاب، وتقوم على تعليمهم وتربيتهم.

وجد الغزالي في هذه المدرسة بغيته، فأقبل على العلم يجدُّ في طلبه وتحصيله. وبدت تظهر عليه أمارات الذكاء والنبوغ وهو في سنٍّ مبكرة.

عصر الغزالي:

نشأ الغزالي في القرن الخامس الهجري، وهو قرنٌ وفدت فيه إلى البلاد الإسلامية تياراتٌ عاتيةٌ من الأفكار الفلسفية، فنشأت في المجتمع الإسلامي أشكالٌ من الطوائف والفرق، تتبنى ألوانًا من الفلسفات والمذاهب الفكرية، وانقسم علماء المسلمين إزاءها إلى فريقٍ مؤيد، وآخر معارض، وثالث حاول التوفيق بينها وبين العلوم الإسلامية.

أما الغزالي فقد أُعجب بعلوم الفلسفة والمنطق، فأقبل عليها قراءةً وبحثاً ودراسة، وتأثر بها، وظهرت هذه الآثار في فكره ومؤلفاته، حتى عدّه كثيرٌ من المؤرخين من كبار فلاسفة المسلمين. ورغم أن الغزالي

معجبٌ بالفلسفة ويرى أنها طريقٌ موصلٌ إلى الحقيقة فإنه يرى أيضاً أنها لا تكفي وحدها للوصول إلى هذه الغاية، مما دفعه إلى المزيد من الاطلاع والتعمق في العلوم الأخرى المختلفة، والإسلامية منها على وجه الخصوص.

أسفاره في سبيل العلم:

وفي سبيل العلم وطلبه طوّف الغزالي بنواحٍ كثيرةٍ من العالم الإسلامي، وقرأ على يد مشاهير من علماء المسلمين، وكان قد قرأ طرفاً من الفقه في بلده على يد أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان وتتلمذ على يد أبي نصر الإسماعيلي ونقل عنه الكثير من الكتب، ثم رجع إلى بلده طوس ومكث بها ثلاث سنوات، سافر بعدها إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين ضياء الدين الجويني، رئيس المدرسة النظامية في نيسابور آنذاك، ودرس على يديه الفقه والمنطق والحكمة والفلسفة والجدل، ثم توفي إمام الحرمين فسافر الغزالي إلى بغداد سنة ٤٨٤ هجرية، وأقام هناك على التدريس في المدرسة النظامية مدة أربع سنوات، ثم غادر بغداد إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وبعد الحج مضى إلى الشام سنة ٤٨٨ هجرية، وجاور بيت المقدس مدةً من الزمن، عاد بعدها إلى دمشق، واعتكف في زاوية الجامع الأموي، وما زالت هذه الزاوية حتى اليوم تُعرف بالغزالية نسبةً إليه.

مكانته العلمية:

خلال هذه الجولات كان الغزالي معلمًا متعلمًا في آنٍ واحد، فنما علمه وأفاد غيره واجتمع حوله كثيرٌ من الطلاب والمتعلمين، تجذبهم إليه غزارة علمه وروعة بيانه، حتى أصبح محببًا بين الناس رفيع القدر بين العلماء، وقد شهد له بهذا القدر كثيرٌ منهم.

قال عنه شيخه إمام الحرمين: (الغزالي بحرٌ مغدق). وقال تلميذه الإمام محمد بن يحيى: (الغزالي هو الشافعي الثاني). وقال أبو الحسن عبد الغافر الفارسي: (الغزالي حجة الإسلام والمسلمين، إمام أئمة الدين، من لم تر العيون مثله لساناً وبياناً، ونطقاً وخاطراً، وذكاءً وطبعاً).

وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: (برع في علومٍ كثيرة، وله مصنفاتٌ في فنونٍ متعددة فكان من أذكياء العالم في كلِّ ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته، حتى أنه درّس بالنظامية ببغداد وله أربع وثلاثون سنة،

فحضر عنده رؤوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه).

وقال عنه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: (الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد بن محمد الطوسي الشافعي، أحد الأعلام تلْمذ [1] لإمام الحرمين، ثم ولاّه نظام المُلْك التدريس بمدرسته ببغداد، وخرج له أصحاب، وصنّف التصانيف، مع التصوف والذكاء المفرط، والاستبحار في العلم).

يضاف إلى هذا أن للغزالي سماتٌ شخصية ساعدته على النبوغ والتحصيل، من هذه السمات أنه كان شديد الذكاء، سديد النظر، قويَّ الحافظة، غوّاصاً على المعاني الدقيقة، مناظراً قوياً، صاحب حجة ومنطق وبيان. وتذكر مصادر السير أن الغزالي في بداية حياته تعرّض لحادث سرقة وهو راجعٌ من إحدى سفراته، فقد خرجت عليه جماعةٌ من قطّاع الطرق ولم يجدوا لديه غير كتبه فأخذوها منه، غير أنه توسّل إلى زعيمهم أن يردّها عليه فردّها، ولما وصل إلى بلده حرّكت هذه الحادثة في نفسه طريقةً جديدةً في طلب العلم وهي حفظ الكتاب قبل الاحتفاظ به، فعكف على كتبه يحفظها حتى حفظها جميعاً عن ظهر قلب. وكان يقول عن نفسه: (وصرتُ بحيث لو قُطِعَ عليَّ الطريق لم أتجرد من علمي).

مصنفاته:

كانت حياة الغزالي حافلةً بالإنتاج العلمي، فقد خلّف تراثا علميا ضخما تجاوز المائة وعشرين كتابا في شتى مجالات المعرفة: من عقيدة وفقه وتصوف وفلسفة. من هذه المصنفات:

١- في مجال العقيدة:

ألّف في هذا المجال عدة مصنفات منها: (المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى)، و (الرسالة القدسية في قواعد العقائد)، و(فضائل القرآن).

٢- في مجال الفقه وأصوله:

ألّف في هذا المجال:(أسرار الحج)، و (المستصفى في علم الأصول)، و(البسيط في الفروع على نهاية المطلب لإمام الحرمين).

١- أي تتلمذ عليه.

٣- في مجال الفلسفة والمنطق:

ألّف في هذا المجال: (تهافت الفلاسفة)، و(مقاصد الفلاسفة)، و(المنقذ من الضلال).

٤- في مجال التصوف:

ألّف في هذا المجال: (إحياء علوم الدين)، و(آداب الصوفية)، و(أيُّها الولد)، و(المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين)، و(مشكاة الأنوار).

كتاب إحياء علوم الدين:

يعتبر كتاب إحياء علوم الدين من أشهر كتب الغزالي، فقد أقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً، وحرصوا على اقتنائه وقراءته، واختصره وخرّج أحاديثه عددٌ من العلماء، وطُبع طبعات كثيرة قديمة وحديثة.

وقد جعله الغزالي أربعة أجزاء، الأول في العبادات، والثاني في العادات، والثالث في المهلكات، والرابع في المنجيات، وفي داخل كلِّ جزء أقسامٌ، كلُّ قسم يمثل موضوعاً، وقد سمّى كلَّ قسم (كتاباً) فجاء تقسيم الكتب داخل الأجزاء على النحو الآتي:

١- **جزء العبادات** ويشتمل على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب القواعد والعقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات. وفي هذا الجزء يذكر الغزالي أنه أوضح خفايا العبادات وآدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها.

٢- **جزء العادات** ويشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة. وفي هذا الجزء يبيّن الغزالي أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها، ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها.

٣- **جزء المهلكات** ويشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور. وفي هذا الجزء يوضح الغزالي كل خلق مذموم في القرآن الكريم وحدّه وحقيقته وأسبابه، ثم الآفات التي تترتب عليه وعلاماتها وطرق الخلاص منها، كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

٤- **جزء المنجيات** ويشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت. ويبين الغزالي في هذا الجزء كلَّ خلق محمود وخصلة مرغوب فيها، ويذكر حدّها وحقيقتها وسببها وثمرتها وعلامتها، وما ورد في ذلك من شواهد الشرع والعقل.

وفاة الغزالي:

رجع الغزالي من الشام إلى بغداد ومنها إلى طوس بخراسان مسقط رأسه، وإلى جانب داره أقام مدرسةً لتدريس الفقه، ووزّع وقته بين التدريس والعبادة، حتى انتقل إلى جوار ربه في جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هجرية.

التقويـــم

١- من هو أبو حامد الغزالي؟ وبم لُقِّب؟ وعلام يدلُّ هذا اللقب؟

٢- أين ولد الغزالي؟ ومتى؟ وكيف كانت نشأته في أول حياته؟

٣- اكتب نبذة مختصرة عن والد أبي حامد الغزالي.

٤- تميّز عصر الغزالي بظروف معينة كان لها أثرٌ واضحٌ على علمه وثقافته. ما هذه الظروف؟ وكيف كانت ذات أثرٍ على علمه وثقافته؟

٥- تجوّل الغزالي في أمصارٍ كثيرة عالماً ومتعلماً. وضّح ذلك.

٦- للغزالي صفاتٌ شخصيةٌ ساعدته على النبوغ والعطاء العلمي الغزير. ما هذه الصفات؟

٧- اذكر قصة الغزالي مع اللصوص، مبيّنًا أثرها في حياته.

٨- اذكر اثنين من مصنفات الغزالي في كلِّ مجال من المجالات الأربعة التي برع فيها.

٩- تحدث بشيءٍ من التفصيل عن كتاب إحياء علوم الدين وأهميته.

١٠- كيف كانت خاتمة الغزالي ووفاته؟

النشاط:

- **اكتب تقريراً موجزاً عن أحد الموضوعات الآتية:**

١. إمام الحرمين.

٢. المدرسة النظامية.

٣. التصوف.

ابن تيمية (رحمه الله)

هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني، إمامٌ من أئمة المسلمين علماً وعملاً، مجاهدٌ في سبيل الله بكلمة الحق إلى جنب جهاده أعداء الله بالسيف، الأمر الذي عرّضه إلى صنوف من البلاء والمحن، فتحملها صابراً محتسباً حتى آخر ساعة من حياته، حيث مات في السجن. وكان أبوه فقيها محدثاً وكذلك كان جده، فهو من أسرة كريمة مشهود لها بالعلم والخلق، ساعدته على التعلم والنبوغ في سنٍّ مبكرة.

مولده ونشأته:

ولد ابن تيمية في حَرّان، وهي بلدةٌ في أقصى الشمال الشرقي من بلاد الشام سنة ٦٦١ هجرية، ثم ارتحلت أسرته من موطنها إلى دمشق عام ٦٦٧ هـ ولما يتجاوز السابعة من عمره. وقد نشأ ابن تيمية في ظروف تميزت بصراعات سياسية وفكرية، فمن حيث السياسة كان التتار قد اكتسحوا العالم الإسلامي قتلاً وحرقاً وتدميراً، وأسقطوا الخلافة العباسية، وقضوا على كلِّ مظاهر الحياة والحضارة في بغداد، ورغم هزيمتهم في (عين جالوت) فقد بدأوا يستعيدون قوتهم ويستعدون للزحف على الشام ومصر وغيرهما من البلاد الإسلامية، ومن الناحية الأخرى كان الصليبيون مازالوا يُشكّلون خطراً على المسلمين، فرغم هزيمتهم في (حطين) على يد صلاح الدين الأيوبي فإنهم مازالوا يحتلون بعض المدن الساحلية من بلاد الشام ويحاولون التحرش بين الفينة والأخرى بالمدن والقرى المجاورة. ومن منطلق شرعي قام ابن تيمية رحمه الله بواجبه إزاء هذه الأخطار خير قيام، فحارب أعداء الله بالسيف، وحثَّ الأمة حكاماً ومحكومين على قتالهم والتصدي لهم.

أما من حيث الفكر فقد حدث إقبالٌ من المسلمين على علوم الأمم الأخرى وتراثها الفكري كالفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو، وقد أدى هذا الإقبال إلى افتتان بعض المفكرين والكتاب المسلمين بهذه المعتقدات والأفكار، وقد حاول فريقٌ من علماء المسلمين التوفيق بين هذه الثقافات والثقافة الإسلامية، بينما تصدى لها فريقٌ ثالث وعلى رأسه ابن تيمية بالرد وتوضيح ما بها من أخطاء وتعارضات مع الإسلام ومبادئه.

هذه الصراعات والتحديات السياسية والفكرية في بداية نشأة ابن تيمية دفعت به إلى المزيد من الاطلاع والبحث، فكانت عاملًا إيجابيًا في تكوين شخصيته وثقافته وعلمه.

علمه ومصنفاته:

ظهرت على ابن تيمية مخايل النبوغ والذكاء منذ أن كان صغيرًا، واجتمع له عديدٌ من الصفات أهّلته إلى الوصول إلى مكانة عالية لم يكد يصل إليها أحدٌ في عصره من حيث سعة العلم وعدد الكتب التي صنفها. من أهم هذه الصفات أن له حافظةً ثاقبة، وذاكرةً قوية، وكان عميق التفكير، يمعن النظر في كل ما يسمعه أو يقرأه، ثم يحكم عليه فيرده أو يقبله، وكانت له بديهة حاضرة، حتى أن خصومه يتهيّبون من الدخول معه في مناظرات علمية. قال عنه الزحيلي في مرجع العلوم: "حفظ القرآن، وتفقه على والده، وبدأ في جمع العلوم الشرعية والعربية والعقلية، وظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء، فأخذ علم الأصول والعربية، وسمع الحديث، وأقبل على تفسير القرآن الكريم، وأتقن فنون الحساب والجبر والمقابلة، ونظر في علم الكلام والفلسفة والفرق، وضرب بسهم وافر وصائب في جميع ذلك، وتأهل للتدريس والفتوى وهو دون العشرين. وشرع في الجمع والتأليف، والتحرير والتصنيف، وصار من كبار علماء الحنابلة، فتولّى وظائف والده بدمشق من فتيا وتدريس، واشتهر اسمه وعلمه في الآفاق، وذاع صيته، وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والجرأة في الحق والشجاعة في نشر الدين، وبيان الأحكام، ورد البدع، وهدم الخرافات والأوهام، والدعوة إلى الإصلاح الديني".

أما مصنفاته فتذكر بعض المصادر أنها تصل إلى ثلاثمائة مجلد في مختلف العلوم والفنون. من هذه المصنفات: "الفتاوى" ويقع في خمسة مجلدات، و"الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية" ويسمى "السياسة الشرعية"، و"التوسل والوسيلة"، و"السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"، و"الجمع بين العقل والنقل"، و"الإيمان"، و"منهاج السنة"، و"الصارم المسلول على شاتم الرسول"، و"الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان"، و"الواسطة بين الحق والخلق"، و"نظرية العقد"، و"رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، و"القواعد النورانية الفقهية"، و"مجموعة الرسائل والمسائل".

جهاده:

كما عُرف ابن تيميه رحمه الله بجهاده بالجهر بكلمة الحق، عُرف كذلك بجهاده أعداء الله بالسيف، فقد وردت الأنباء أن التتار يتأهبون للزحف على الشام، ففي عام ٦٦٩ هـ تحرك قازان ملك التتار بجيوشه من إيران نحو حلب، وفي وادي سَلَميّة التقت جيوش التتار بجيش الناصر بن قلاوون، وبعد مقاومة شديدة هزم جيش ابن قلاوون، وفرَّ من فرَّ من الجند، ونزح أعيان دمشق إلى مصر حتى خلت من الأعيان والوجهاء، وعاش الناس في فوضى ورعب شديدين، لكن ابن تيمية تولى الأمر فهدَّأ من روع الناس، واجتمع بمن بقى من الأعيان، واتفق على خطة لضبط الأمور داخل البلاد، وعلى تشكيل وفدٍ لمقابلة (قازان) ملك التتار، وكان ابن تيمية من ضمن هذا الوفد، وتمت المقابلة في بلدة (النَّبك)، وخلالها دارت بين ابن تيميه و"قازان" مناقشة حادة استطاع أن يصرفه عن دخول دمشق، لكن التتار عزموا مرةً أخرى على غزو دمشق، ففي عام ٧٠٢ هجرية تحركوا نحوها، فقام ابن تيمية في الناس يحثهم على القتال، ويذكرهم بفرضية الجهاد، ويرغبهم في الإنفاق في سبيل الله، حتى تجهز جيش المسلمين واستعد للقاء التتار في رمضان من العام نفسه، والتقى الفريقان في معركة حامية الوطيس، عُرفت في التاريخ بمعركة "شقحب"، وكان ابن تيمية في هذه المعركة أشجع الناس وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جأشًا، يجول في العدو بفرسه كأعظم الشجعان، ويضرب بسيفه يمنةً ويسرة لا يُثنيه عن ذلك شيء، حتى كتب الله النصر للمسلمين، وهزموا التتار شر هزيمة، و لم تقم لهم قائمة بعد هذه المعركة.

المحنة في حياة ابن تيمية:

عُرف ابن تيمية رحمه الله بالجرأة في الإعلان والتصريح بما يعتقد أنه حقٌّ مهما كلّفه ذلك، فظهر له بعض الخصوم، و لم يكن لأولئك الخصوم قدرته على المناظرة وإقناع الناس بخلاف ما يشهره من علم وفتوى، فلجأوا إلى أسلوب الوشاية به لدى السلاطين، فزجُّوا به إلى السجون والمحن، فتقبَّلها راضيًا مطمئناً وهو يردد مقولته المشهورة: "ماذا يظنُّ أعدائي أنهم يفعلون بي؟ إنّ جنتي في صدري، وإنّ قتلي شهادة، وإنّ سجني خلوة، وإنّ نفيي سياحة".

محنته في مصر:

طُلب ابن تيمية إلى مصر لمناقشته في بعض فتاويه، وهناك نشأت خصومةٌ بينه وبين مخالفيه في الرأي

حول عدة مسائل أهمها الاعتقاد بوحدة الوجود، والاستغاثة بغير الله، فوشوه إلى السلطان، فأدخل السجن عام ٧٠٥ هجرية، وظلَّ به سنة كاملة، وتحت ضغوطٍ من قبل كثيرين من تلامذته ومؤيديه وافق السلطان على إخراجه مقابل أن يتراجع عن بعض آرائه فرفض، وظلَّ بالسجن ثمانية أشهر أخرى، وعادت الضغوط مرةً أخرى فأطلق سراحه.

عاد ابن تيمية إلى الاتصال بالناس ووعظهم وتبصيرهم بأمور دينهم مصراً على ما يرى ويعتقد بصحته من آراء وأفكار، فأثار ذلك حفيظة خصومه مرةً أخرى، فرجعوا إلى السلطان يؤلبونه عليه ويحثونه على البطش به، فنفاه إلى الإسكندرية، وفي منفاه استمرَّ على طريقته ومنهجه في الدعوة والإصلاح، لا يخشى في الله بطشاً ولا ظلماً.

محنته في الشام:

عاد ابن تيمية إلى دمشق وقد عزم على التفرغ للتدريس والتأليف في الأمور الفقهية، لكن أهل السوء لم يدعوه في حاله، فما زالوا يدسُّون عليه لدى السلطان حتى سجنه سنة ٧٢٠ هجرية، ومكث في السجن ستة أشهر ولما خرج عاد إلى طريقته في الاتصال بالناس، بالخطابة والوعظ والجهر بما يعتقد أنه حق، الأمر الذي أرجعه للسجن مرةً أخرى سنة ٧٢٦ هجرية، وكان هذا سجنه الأخير، فقد فاضت روحه إلى بارئها في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية، ومن سجن قلعة دمشق خرجت جنازة ابن تيمية إلى مثواه الأخير، وقد ذكر الزركلي أن دمشق خرجت كلها في جنازته.

وبوفاة ابن تيمية ودّعت الأمة الإسلامية إمامًا جليلًا من أئمتها، وداعيةً مجاهدًا من دعاة الإصلاح والعودة إلى العمل بالقرآن والسنة، ومثلًا حيًا للعقيدة الصادقة والقدوة الصالحة.

التقويـــم

١- من هو ابن تيمية؟ وأين ولد؟ ومتى؟

٢- صِف الظروف التي نشأ فيها ابن تيمية، مبيّنًا أثرها على شخصيته.

٣- تحدث عن علم ابن تيمية؟ وما أهم الكتب التي صنّفها؟

٤- كانت لابن تيمية رحمه الله صولاتٌ وجولاتٌ من الجهاد مع التتار. وضّح ذلك.

٥- عُرف ابن تيمية رحمه الله بالجرأة في قول كلمة الحق ولو جرّت عليه الأذى والمحن. وضّح ذلك بأمثلة من حياته.

٦- متى توفي ابن تيمية؟ وكيف؟

٧- اذكر فائدتين استفدتهما من دراستك لشخصية ابن تيمية.

النشاط:

وردت في الدرس أسماء مجموعة من الكتب التي ألّفها ابن تيمية رحمه الله. حاول البحث عن أحدها في مكتبة المدرسة واكتب تقريراً عنه.

العزُّ بن عبد السلام (رحمه الله)

هو أبو محمد عزُّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذَّب السلمي الدمشقي الشافعي[1]. اشتهر باسم العزِّ بن عبد السلام، ولُقِّب بسلطان العلماء لغزارة علمه وسعة اطلاعه. نذر نفسه للجهر بكلمة الحق في سبيل الله، فجرَّ عليه ذلك عنتاً كبيراً، وفي المقابل جُعلت الدنيا بجاهها ومغرياتها بين يديه، فلم يُثنه هذا ولا ذاك عن الطريق الذي ارتضاه لنفسه، واعتقد أنه الحق.

مولده ونشأته:

وُلد العزُّ بن عبد السلام في دمشق عام ٥٧٧ هجرية من أبوين صالحين، كان لصلاحهما أثرٌ بالغ في تربية ولدهما. و لم يشتغل العزُّ بن عبد السلام في أول حياته بطلب العلم، بسبب فقر أسرته التي كان يشغلها طلب الرزق عن طلب العلم، لكنه استطاع أن يُعوّض ما فاته في فترةٍ وجيزة، ويصل إلى درجة لم يستطع أن يصل إليها كثيرون من علماء عصره.

نشأ العزُّ بن عبد السلام في ظروفٍ مضطربة من الفتن الداخلية والحروب الخارجية، فقد تركت الحروب الصليبية وغزو التتار آثارًا سيئة على أحوال المسلمين، منها ضعف النفوس، والبعد عن الدين، وسكوت العلماء عن الباطل، واعتزال كثيرٍ منهم الحياة العامة، لكن العزَّ بن عبد السلام ما زادته هذه الأحوال إلا ثباتاً على الحق وإصرارًا على الجهر به، فكان أمل المسلمين وقدوتهم في الدعوة إلى الخير والإصلاح.

شيوخه:

بدأ العزُّ بن عبد السلام طريقه العلمي بدراسة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، وقرأه بالقراءات السبع. سمع الحديث من أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير علي بن عساكر كبير المحدثين في دمشق، ودرس الفقه على الإمام فخر الدين بن عساكر، ودرس علم الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي، وحضر على علماء كثيرين من أمثال الشيخ عبد اللطيف البغدادي، والقاضي جمال الدين بن الحرستاني، والشيخ شرف الدين الدمياطي، والقاضي ابن دقيق العيد.

١- بعض المصادر مثل طبقات الشافعية لابن كثير الدمشقي، تقدّمه باسم عبد العزيز بن عبد السلام، بينما شهرته باسم عز الدين أو العز غلبت على اسمه عبد العزيز.

سافر إلى بغداد لطلب العلم لكنه لم يمكث بها إلا شهورًا، وفي هذه المدة الوجيزة سمع الحديث من أبي حفص عمر بن طبرزد، وحنبل بن عبدالله الرصافي.

علمه ومصنفاته:

بعد هذه الحياة الحافلة بالتعلم والتلقي على أيدي أولئك المشاهير من الشيوخ والعلماء، وصل العزُّ ابن عبد السلام إلى درجةٍ عالية من الفهم الشامل لمقاصد شريعة الإسلام وأسرارها، وأصبح من أجلاّء علماء عصره، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد.

وللشيخ ابن عبد السلام مصنفاتٌ كثيرة في عدة مجالات: كالتفسير، والحديث، وعلوم القرآن، والعقائد، والفقه، وأصول الفقه، والسيرة، والتصوف والتهذيب والأخلاق.

من هذه المصنفات: في الفقه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، وفي التفسير (التفسير الكبير)، وفي التصوف (مسائل الطريقة في علم الحقيقة) و(حلُّ الرموز ومفاتيح الكنوز)، وفي علوم القرآن (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز).

وله من المخطوطات: "الفتاوى"، و"الغاية في اختصار النهاية"، و"قواعد الشريعة"، و"الفرق بين الإيمان والإسلام".

المناصب التي تولاّها:

١- القضاء:

تولّى العزُّ بن عبد السلام القضاء في دمشق في عهد السلطان الكامل الذي كان شديد الإعجاب بالشيخ، وحيث إن الكامل لم يدم في الحكم إلا شهورًا فقد عزل الصالح إسماعيل الشيخ ابن عبد السلام بعد أن تولى الحكم بعد أخيه الكامل.

ولما قدم إلى مصر تولّى القضاء فيها أيضاً، ثم تولّى منصب "قاضي القضاة" بعد وفاة قاضي قضاتها شرف الدين بن عين الدولة.

٢- الإفتاء:

وتولّى الإفتاء في دمشق مدةً من الزمن. ورغم ما تجرُّه هذه المهمة من متاعب فقد ظلَّ يمارسها بكلِّ شرفٍ ونزاهة حتى آخر أيامه بالشام، وله في ذلك فتواه المشهورة لتجار السلاح بتحريم بيعه للإفرنج.

ولما قدم إلى مصر كانت شهرته في الإفتاء قد سبقته إليها، فأخذ يفتي الناس بنفس طريقته ومنهجه من تجردٍ وأمانة ونزاهة، وله في ذلك كتابه المشهور باسم "الفتاوى المصرية". يقول عنه الشيخ المنذري في هذا المجال: كنا نفتي قبل حضور الشيخ عزِّ الدين، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعيِّنٌ له.

٣- الخطابة:

كما تولّى الخطابة في دمشق في أكبر مسجدٍ بها وهو الجامع الأموي، وفي هذا دليلٌ على ما كان يتمتع به من علمٍ وثقة في مجتمع الشام، لكنّ كلمة الحق لم تمهله في هذا المنصب طويلاً، فقد عزله الصالح إسماعيل بعد أن انتقده بشدة في خطبة الجمعة، بعد أن تنازل للصليبين عن بعض مدن الشام، وسمح لهم بشراء السلاح من أسواق دمشق مقابل مساعدته ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب.

وفي مصر تولّى الخطابة أول ما وصل إليها، وذلك في مسجد عمرو بن العاص، و لم يلبث في مصر خطيباً إلا عاماً واحداً، حيث عزله سلطانها بعد أن جهر في خطب الجمعة بالحق.

مواقف من حياته:

١ - موقفه من الصالح إسماعيل:

لما اشتد الصراع بين ملك الشام الصالح إسماعيل وملك مصر نجم الدين أيوب، استعان الصالح إسماعيل بالصليبيين الإفرنج، وتحالف معهم مقابل التنازل لهم عن صيدا والشقيف وصفد، وأن يسمح لهم بشراء السلاح من دمشق، فغضبت الشام كلها لهذه الخيانة العظمى، وعلى رأسها الشيخ ابن عبد السلام، ولما كان يوم الجمعة ارتقى الشيخ المنبر، وذمَّ الملك لموالاته أعداء الإسلام، وكشف خطورة ما أقدم عليه على الأمة الإسلامية، وامتنع عن الدعاء له.

وكان الملك غائبًا عن دمشق، فلما حضر وبلغه الخبر أصدر كتابه بعزل الشيخ عن الخطابة، واعتقاله في داره، و لم يُثنه ذلك عن موقفه، بل أصدر فتواه لتجار السلاح بتحريم بيع الأسلحة وتوابعها على أعداء الأمة، وكان لهذه الفتوى صداها في نفوس التجار، فقد امتنعوا عن بيع السلاح للعدو.

ثم أقدم الناس على قتل الصليبين في الشوارع والحواري، فخاف الملك أن يفلت الزمام من يديه، فأفرج عن الشيخ، ثم حاول أن يستميله وأن يُثنيه عن مواقفه فلم يفلح، وبعد جولاتٍ من الحوار بين الشيخ ورسل الملك تم الاتفاق على أن يغادر دمشق إلى مصر بإرادته ورضاه.

٢- موقفه من نجم الدين أيوب:

في يوم العيد خرج الناس إلى القلعة للقاء الملك، ومن بينهم العزُّ بن عبد السلام، وكان يحيط بالملك العسكر من كل جانب، والأمراء ومجلس المملكة بين يديه، في هذا الموقف اقترب الشيخ من الملك وقال له: ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوىء لك ملك مصر، ثم تُبيح الخمور؟ فقال: وهل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور. فقال: يا شيخنا، هذا من أيام أبي. فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة. ثم أمر الملك بإغلاق الحانة على الفور.

٣- موقفه من الأمراء المماليك:

في عهد نجم الدين أيوب عظُم نفوذ المماليك وصار كثيرٌ منهم أمراء جيشه، بل صار واحدٌ منهم نائب السلطان.

تنبّه العزُّ بن عبد السلام إلى أن هؤلاء الأمراء الذين صار أمر الناس إليهم، ليسوا في واقع الأمر إلا أرقاء. فأفتى أنه لا تجوز معاملتهم معاملة الأحرار في البيع والشراء والزواج وغير ذلك من المعاملات الأخرى، وقد استند في فتواه على أدلة شرعية واضحة، ولما سرت هذه الفتوى بين الناس مسرى التنفيذ تضايق أولئك الأمراء ولحق بهم أذى كبير ، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إلى الشيخ من يناقشه في هذه القضية، فجاء جوابه واضحاً مختصراً: نعقد لهم مجلساً، وينادى عليهم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقهم بطريقٍ شرعي. لكن الأمر صعب على السلطان، فرفض مطلب الشيخ، وردَّ عليه أن هذا ليس من اختصاصه.

عندئذٍ قرر الشيخ مغادرة مصر والهجرة إلى الشام مادام فيها من يُعطّل شرع الله. لكن القاهرة هاجت لقرار الشيخ وكادت تخرج وراءه، فأدرك نجم الدين أيوب أن ملكه في خطر، فأسرع وراءه يعلن موافقته على بيع الأمراء، على أن يغالي في ثمنهم فيشتريهم هو ثم يُعتقهم، وتُصرف أثمانهم في مصالح المسلمين.

ووقف الشيخ عزُّ الدين ينادي على أمراء الدولة ويُغالي في ثمنهم، فيدفعه نجم الدين من ماله الخاص، ويقبض الشيخ الثمن وينفقه في وجوه الخير.

وفاته:

توفي رحمه الله في القاهرة عام ٦٦٠ هجرية، عن عمر بلغ ٨٣ عاماً، وقد حزنت مصر قاطبةً بوفاته، وخرجت القاهرة تودّعه في حشدٍ مهيب. وقد سار في جنازته سلطان مصر والشام الظاهر بيبرس، وحمل نعشه وصلَّى عليه وحضر دفنه.

وفي الشام كان لوفاته صدىً كبير، فقد اجتمع الناس في المساجد، وصلّوا عليه صلاة الغائب، واجتمعوا أياماً يترحّمون عليه، ويدعون له، ويتقبّلون فيه العزاء.

التقويـــم

١- عرّف بشخصية العزِّ بن عبد السلام رحمه الله.

٢- أين ولد العزُّ بن عبد السلام؟ ومتى؟

٣- ما الظروف التي نشأ بها العزُّ بن عبد السلام؟ وهل أثَّرت هذه الظروف في شخصيته؟

٤- تلقى العزُّ بن عبد السلام العلم على يد مشاهير من الشيوخ والعلماء. اذكر أبرزهم.

٥- وصل الشيخ العزُّ بن عبد السلام إلى درجةٍ عالية من العلم بين علماء عصره. تحدث عن هذه الدرجة.

٦- تولّى العزُّ بن عبد السلام عدة مناصب في مصر والشام، فما هذه المناصب؟

٧- كان لاستقامة الشيخ وجهره بكلمة الحق أثرٌ على المناصب التي تولاها. وضّح ذلك.

٨- تحدث بإيجاز عن موقف العزِّ بن عبد السلام مع:

- الصالح إسماعيل.
- نجم الدين أيوب.
- الأمراء المماليك.

٩- متى توفي الشيخ العزُّ بن عبد السلام؟ وأين؟ وكم كان عمره؟

١٠- كيف استقبلت مصر والشام نبأ وفاة الشيخ العزِّ بن عبد السلام؟ وعلام يدلُّ ذلك؟